يا ولدي!

جميع الحقوق محفوظةٌ للمؤلف

(الطبعة السابعة)

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

رقم موافقة وزارة الإعلام : ١٠٣٨٦٣

تاريخ: ٢٦/ ١٠/ ٢٠٠٩م

للتواصل مع المؤلف: ٠٠٩٦٣٩٤٤٢٤٨٦٨٦

أو: فيسبوك: أنور وردة

يا ولدي!

كتاب الحكم التربوية الخالدة

المفكر الإسلامي

الدكتور المهندس أنور وردة

قدَّم له مفتي سوريا

الشيخ أحمد كفتارو «رحمه الله تعالى»

رئيس مجلس الإفتاء الأعلى

الإهداء العام

للآباء والأمهات..

للأبناء والبنات..

للمتمسّكين بأهداب الفضيلة والخير، السالكين دروب الهدى والصلاح..

للشاردين في دروب الحياة بما فيها من صالحٍ وطالح، الغافلين عن إحياء أنفسهم وبناء أركان حياتهم..

إلى من يبحث عن حكمةٍ يزداد بها درجةً على سلّم السلامة والسلام، في الدنيا وفي الدار الآخرة..

لكل من يعجبه عملٌ كهذا، أهدي هذا الكتاب.

الدكتور أنور وردة

الإهداء الخاص

إلى روح والدي الغالي المرحوم الشيخ عبد الغني وردة.

وإلى سموِّ والدتي ومربيتي السيدة رجاء البخاري.

وإلى إخوتي وأخواتي: عثمان وخالد وحسن وخديجة وإحسان وشذا وزاهر وردة.

وإلى زوجتي الغالية الداعية المتألّقة الدكتورة لينة الحمصي.

وإلى ولديَّ الأعزَّينِ الأكرمينِ: عبد الغني وسلام وردة.

وإلى كل من أحببتُهم وأحبُّوني (وما أكثرهم بحمد الله)

أهدي هذا الكتاب، راجياً دوام الدعاء لي حياً وميتاً.

الدكتور أنور وردة

شِعارُ الكتاب

شعارُ هذا الكتابِ قولُ الإمامِ الشافعيِ رضي الله عنه:

هي الأخلاقُ تنمو كالنَّباتِ ... إذا سُقِيَت بماءِ المَكرُماتِ

وتُثمِرُ إن تعهَّدَها المُرَّبي ... مِنَ الخَيراتِ شتَّى الطيِّباتِ

ولن يُرجى لأطفالٍ كمالٌ ... إذا رَضَعوا لبانَ الناقصاتِ

وليس النَّبتُ ينمو في جِنانٍ ... كمِثلِ النَّبتِ ينمو في الفَلاةِ

بقلم الشيخ أحمد كفتارو
«رحمه الله تعالى»

المفتي العام السابق للجمهورية العربية السورية

رئيس مجلس الإفتاء الأعلى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيب ربّ العالمين، إمامِ النبيين وسيدِ المرسلين، المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا محمدٍ الصادقِ الوعدِ الأمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغرِّ الميامين، وعلى من دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

الإسلام رسالة الله الخالدة التي أنزلها على عباده

ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، وليسعدهم بها في الدنيا والآخرة.

ولقد قامت هذه الرسالة العظيمة على ثلاثة أسسٍ، وفقاً للمخطط الرباني الذي بيَّن أنَّ مهمة النبي ﷺ هي تقديم شريعة الله الخالدة للناس جميعاً على أجنحة العلم والحكمة والتزكية، إذ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وبقي البناء الإسلامي ثابتاً قوياً، ما بقيت أسسه في مأمنٍ من الهدم أو التشويه، أو البعد عن التوازن والوسطية، وبقي في عافيةٍ واستقرارٍ مادام من حوله رجالٌ علماء حكماء، يقدرون الأمور قدرها، ويعرضون حقائق الإسلام بموضوعيةٍ، دونما إفراطٍ أو تفريط.

حتى إذا أخذت الناسَ غفلةٌ عن دين الله، وبُعدٌ عن جوهر شريعته، ألفينا البناء الإسلاميَ عرضةً للضعف والخلل في أسسه التي قام عليها، حيث ظُلمت بعض حقائقه، وغُمطت حقها في البيان والتطبيق.

وكان إهمال (الحكمة) ضحيةً لهذا البعدِ والغفلةِ عن كتاب

الله ﷻ، واستتبع ذلك غربةَ الإسلامِ بين أهله فضلاً عن أعدائه.

وقد سررتُ عندما طالعني ولدنا المهندس محمد أنور وردة بهذا المؤلَّف، ورأيتُ فيه فوائد جمة، حيث انتقى جملةً نافعةً من الأقوال والآثار والأشعار التي تنطق بالحكمة، معتمداً في ذلك على كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وأقوالِ الحكماء والعلماء والأدباء من هذه الأمة المحمدية، وجعلها على هيئة نصائح تربويةٍ موجهةٍ للأبناء، والحقيقة إنَّ حاجة الآباء والمربينَ إليها ليست بأقلَّ من حاجة الأبناء، إذ إنها اشتملت على كثيرٍ من الآداب والأخلاق التي هي جزءٌ من هوية المسلم، وأماطت اللثامَ عن أصول العلاقات الإسلاميةِ التي تربط الإنسانَ بخالقه ودينه ودنياه والمجتمعِ من حوله.

وما أجمل أن تتحول تلك الكلماتُ إلى واقعٍ ملموسٍ في حياة المسلم، إذن لأغنى حالُه عن كثيرٍ من أقواله.

وقد وفَّق اللهُ المؤلفَ إلى أسلوبٍ سهلٍ وممتعٍ وقريبٍ إلى نفس القارئ، بحيث لا يشعر بالملل وهو يتنقل بين صحائف الكتاب.

أسألُ اللهَ أن يجزيَ المؤلفَ خيراً، وأن يسددَ قلمَهُ وفكره وعقله في خدمةِ هذا الدين، وأسأله سبحانه أن يؤتينا الحكمةَ قولاً وعملاً وفكراً وسلوكاً، وأن يوحد كلمة المسلمين.

دمشق في ١٦/٦/١٤١٩هـ الموافق لـ ٧/١٠/١٩٩٨م

المفتي العام للجمهورية العربية السورية

الدكتور الشيخ **أحمد كفتارو**

رئيس مجلس الإفتاء الأعلى

ومجمع أبي النور الإسلامي

المقدّمة

يروى أنَّ أعرابيةً شغوفةً بولدها، شديدةَ الحب له، كانت تلاعبه وتهدهده، تشمّه وتضمّه وهي تقول:

يا حبَّذا ريحُ الولد ريحُ الخزامى في البلد
أهكذا كلُّ ولد أم لم يلد مثلي أحد؟!

❋ ❋ ❋

أيتها الأعرابية: بل هكذا كل ولدٍ على قلبِ والدَيه، ولقد قال الشاعر:

جاءني ابني وكنتُ أراهُ ليَ ريحانةً ومصدرَ أُنسِ
قال: ما الروحُ؟ قلتُ: إنك روحي قال: ما النفسُ؟ قلتُ: إنكَ نفسي!

❋ ❋ ❋

الولد، وما أدراكَ ما الولد، فلذةُ الكبد، وبسمةُ البلد، الساعدُ والمساعدُ والسَّند، ريحانةُ الفؤادِ وبستانُ الأفراح، القاضي بضحكتِهِ على الهمومِ والأتراح، تَنسى عند الدخولِ

إلى عالَمِهِ الحبيبِ عكَرَ الأيام وجفاءَها، وتستقبلُ بهاءَها وصفاءَها.

كلُّ مصيبةٍ بعيدةٍ عنه هيِّنَةٌ ليِّنَة.

هو عديلُ الروح، وشريك القلب، وخليل النفس، والمصطفى دون كل حبيب أو قريب.

وصف أحد الحكماء الأولاد بقوله: هم ثمرة قلوبنا، وعمادُ ظهورنا، ونحن لهم سماءٌ ظليلةٌ وأرضٌ ذليلة، إن طلبوا منا نُعطِهم، وإن غضبوا منا نرضهم، ورحم الله الشاعر حيث قال:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرضِ
لو هبَّت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمضِ

❋ ❋ ❋

نزرع نبتةً صغيرةً في حديقةٍ صغيرةٍ، فنتعهدها بالعناية والرعاية، ننقلها إلى الدفء والشمس حين تحتاج ذلك، وإلى الظل والبرد حين تحتاج ذلك أيضاً، نتابعها بالسقاية والسماد والفيتامينات اللازمة لنموها وازدهارها، ونفرح منها بوردة جميلة أو نَفَسٍ عاطرٍ، ونشعر أنها تضيف إلى حياتنا لوناً زاهياً وألقاً جديداً.

وهنا لي سؤال صغير: أيّهما أولى بالرعاية والعناية والتهذيب والتشذيب: الطفل الحبيب أم النبتة الحبيبة؟!

الجواب واضحٌ، ويا لخجل السؤال والمقارنة!

ومع ذلك نرى من يهتمّ بالنبتة في داره أكثر من اهتمامه بأطفاله وعائلته!

معظم الآباء والأمهات يُظهرون اهتمامهم بأولادهم من خلال تأمين المسكن والمأكل والمشرب والملبس والنزهة والمصروف على أحسن حال، كلٌّ على حسب طاقاته وإمكانياته، قلَّت هذه الإمكانيات أم كثرت.

لكنَّ تربية الروح السامية والأخلاق العاليةِ والسلوك القويم والنهج العظيم أمرٌ آخر، أهم بكثيرٍ وأخطر بكثير.

وإذا كان الولد من الغلاوة والحلاوة والمكانة الكبيرة في القلب كما ذكرنا قبل قليل، كان لزاماً علينا أن نهيّئ له الغذاء الكافي لروحه، والبلسم الشافي لأمراضه، والطريقَ الواضح لحياته، لنكون عوناً له على بلوغ أقصى المقاصد وأنبل الغايات.

❋ ❋ ❋

هذا الكتاب عصارة مجهودٍ كثيفٍ وطويلٍ ومتشعبٍ

الاتجاهات، غُصتُ من أجله في مجامع الحكمة العليا، وقرأتُ كلام الله المجيد، وتعاليمَ النبي العظيم، وأحداثَ وأحاديثَ أعلام الهدى الصالحين، وأقوالَ الحكماء وأشعارَ الشعراء وأمثالَ المجرّبين، وقطفتُ من ذلك كله ما طالته يداي من جوامع الكلمات وروائع النصوص والعبارات، وحاولتُ في هذه الصفحات القليلة أن أهب لولدي، ولكل ولدٍ كولدي، نصائحَ مهمةً في مختلف نواحي الحياة، عساها تنير دربه، وتطهر قلبه، وتلمع بين عينيه كما يلمع شعاع الشمس، ليلد الدفء والنور، والصحة واليخضور، في عروق السيرة المجيدةِ والتربية الحميدةِ للولد الذي قلنا إنه فلذة الكبد وبسمة البلد.

ولست أدَّعي هنا أنني ألَّفتُ هذا الكتاب، لكنني اقتبستُ، وجمعتُ، وعلَّقتُ، وتدخَّلت، وصغتُ جميع ما فيه بصبرٍ واستمتاعٍ ودقةٍ وإخلاصٍ، إلى أن استطعتُ (واللهُ أعلم) أن أربط بين جواهره بخيطٍ متينٍ حوَّله إلى منظومةٍ متماسكةٍ، فيها الكثير مما يفيد ويمتع، يربي ويسلي، يقدِّم الغاية المرجوَّة بثوبٍ أنيقٍ ونغمٍ عذبٍ لا يسمح للكلل ولا للملل بالتسرب إلى النفس، ويكون بالتالي أقدر على تشريب القارئ الهدف المنشود، والله من وراء القصد.

ولئن كان الصغار بحاجةٍ إلى كتابٍ كهذا، فإنَّ الكبار إليه

أحوج، لأنهم الأقدرُ على الالتزامِ بمضمونه والتسليمِ بحقائقه، والانتباهِ إلى ما قد ينقصهم من الكمالات، ليتمّموا في شخصيتهم مكارمَ الأخلاق، ويكونوا من ثَمَّ القدوةَ الحسنةَ والمثالَ المحتذى أمام عيونٍ صغيرةٍ لا تقبل منهم النقصَ أبداً، بل تحاسبهم على أية مخالفةٍ ولو كانت بسيطةً، بعفويةٍ وصراحةٍ وتلقائيةٍ، بعيداً عن مجاملات الكبار ونفاقِهم ومواربتِهم (المُجانِبةِ أحياناً للحق والصواب)!

وأنا إذ أعتبر هذا الكتاب: (يا ولدي)، وكتابي الآخر: (يحكى أنَّ)، الجزءَ الأهمَّ مما قد أخلِّفُ لأولادي بعد وفاتي، فإني أتمنى على أرحم الراحمين أن يجعله صدقةً جاريةً في صحيفة حسناتي، وأن يهبني ثواب من عمل بهديه، وأملي أن يستجيب الله تعالى لهذا الرجاء، فلقد بشَّر النبيُ ﷺ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً بأن يكون لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وأنا أرى هذا الكتاب سنَّةً حسنةً يهدي إلى سُننٍ حسنةٍ، والله أعلم، ومنه القَبول، وهو الموفق إلى ما فيه خيرنا ورضاه.

الدكتور أنور وردة

لا شك أبداً في أن الله تعالى حين ربط بين رضاه وبين رضا الوالدين، أراد من ذلك أن يؤكد تماماً على أهمية برِّهما وإرضائهما، فلقد قال ربنا ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

يقول النبي ﷺ: «**أبشروا أبشروا، إنه من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر دخل من أي أبواب الجنة شاء: عقوقَ الوالدين، والشركَ بالله، وقتلَ النفس، وقذفَ المحصنات، وأكلَ مال اليتيم، والفرارَ من الزحف، وأكلَ الربا**»[(١)]. **ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً: «كل الذنوب يغفر الله منها ما شاء إلا عقوقَ الوالدين، فإنه يعجل لصاحبه في الحياة قبل الممات**»[(٢)].

وفي هذا الكلام تأكيدٌ عظيمٌ على المفهوم الإسلامي

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، وضعفه الألباني.

الإنساني النبيل لبرِّ الوالدين، وترهيبٌ حازمٌ من عقوقهما.

وهناك عدد من الأحاديث الشريفة التي تدعم هذا المفهوم، منها قول النبي ﷺ: «**الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئتَ فأضع هذا البابَ أو احفظه**»(١).

جاء رَجُلٌ إِلَى رسول الله ﷺ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ. فسأله: «**فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟**» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا. قَالَ: «**فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ؟**» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**»(٢).

وروي أنَّ رجلاً كان يطوف بالبيت ويحمل أمه على ظهره وهو يقول: أحمل أمي وهي الحمَّالة، ترضعني الدرَّةَ والعلالة، هل يُجزَينَّ والدٌ فعاله؟! فقال له عمر رضي الله عنه: (**لا ولا طلقة!**)(٣).

إذاً، حقوق الأبوين على الأولاد في الإسلام حقوق هامة جداً.

ولكي يتمكن الأبوان من الحصول على هذه الحقوق،

---

(١) رواه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه».

(٣) ورد في كتاب «أخبار مكة» للفاكهي، ٢/ ١٨٥.

عليهما أن يغرسا في أولادهما القيم والمبادئ والأخلاق التي تمكّنهم من الإيمان بقداسة بر الوالدين، والسير باتجاه القيام بما لهذه القداسة من حقوقٍ ومآثرَ، وأنا أقول: على الأبوين أن يقوما بهذه المهمة تجاه الأولاد، لأن النبي ﷺ قال: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**»[1]، وصدق رسول الله ﷺ، فالطفل عجينةٌ طريةٌ تكيِّفها كما تريد، وتوجِّهها كما تريد، وهو كالتربةِ الخصبةِ، إن أحسنتَ الزرعَ فيها حصدتَ الحبَّ والرمان، وإن أسأتَ بذارها حصدتَ الشوك والحرمان.

جاء أبٌ إلى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ولده، فغضب سيدنا عمر من الولد، ودعاه وسأله عما يدّعيه أبوه، فقال الولد:

اسمع مني يا أمير المؤمنين، أليس من حقي عليه أن يُحسنَ اختيارَ أمي، واختيارَ اسمي، وأن يُحسنَ تعليمي؟!

قال سيدنا عمر: بلى.

فقال الولد:

أما أمي فهي عبدةٌ سوداء مُعتقة، يعيِّرني بها رفاقي فلا

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، ١/ ٤٦٥.

أستطيع أن أُفاخرهم، وأما اسمي فقد سماني (جُعَل)، أي: خنفساء! فكل من ناداني باسمي كأنه سبَّني ولا أستطيع الردَّ عليه!

وأما تعليمي، فمنذ صغري لم يعلِّمني شيئاً، لا آيةً من قرآنٍ ولا حرفاً من حديثٍ أو قراءةٍ أو كتابة، بل قذف بي وراء الخراف والجمال أرعاهم وأعيش معهم ومثلهم، بل مثلَ الكلب المكلَّف بحراستهم! فماذا تقول يا أمير المؤمنين؟!

فالتفت سيدنا عمر إلى الأب وسأله عما يقول ولده، فاعترف بأنَّ ما يقوله صحيحٌ، فقال له: قم يا هذا، عققتَه قبل أن يعقَّك!

ومن هنا نرى أن العلاقة بين التربية من جهة، وبين البرّ والإحسان والاستقامة من جهة أخرى، هي علاقة جدليةٌ تبادليةٌ تكافئية، ولها طرفان فاعلان ومنفعلان في الوقت نفسه: الطرف الأول هو الآباء والأمهات، والطرف الآخر هو الأولاد، إذ يقدِّم الوالدان في البداية (الموادَّ الأوليةَ) لنفس الطفل، فيزرعان فيه الأخلاق الفاضلة والآداب السامية والموازين الدقيقة للصح والخطأ والحلال والحرام والمسموح والممنوع، ومن ثَمَّ يتمثَّلها الولد في نفسه وعقله وقلبه سلوكاً وممارسةً وحُسنَ تربيةٍ وصلاحُ سيرةٍ.

فإذا أخطأ الوالدان في زرع المعلومات في نفس الطفل،

كان إشعاع الطفل لهذه المعلومات خطأً مرتكباً على أرض الواقع، فيه سوءُ الأدبِ أو سوءُ المعاملةِ أو بذاءةُ اللسانِ أو اللصوصيةُ والجريمةُ وكافةُ ألوان الانحراف.

هي عمليةٌ تشبه (المُدخَلاتِ) و(المُخرَجاتِ) التي يتحدث عنها مبرمجو الكومبيوتر، حين يتعامل المرء مع هذا الجهاز العجيب، فبقدر ما تكون المدخلات صحيحةً تكون المخرجات صحيحةً، وعندما يتلقى الكومبيوتر مدخلاتٍ خاطئةً يُخرجُ نتائج خاطئةً، وهذه النتائج قد تكون مضحكةً في بعض الأحيان، وقد تكون كارثيةً في كثيرٍ من الأحيان.

وأهم من عملية التعليم والتلقين في حياة المربِّي والمربَّى، أن يكون المربي قدوةً حسنةً حقيقيةً أمام المربَّى، وإلا فكيف سيسمع الولد من أبيه عن فضائل الصدق إذا كان الأب كذاباً، وكيف سيحدِّث الأبُ ولده عن معاني الاستقامة إذا كان هو منحرفاً، وكيف سيقنعه بأهمية الصلاة في حياته إذا كان هو تاركاً للصلاة مضيِّعاً لها؟!

كثيراً ما نرى الإحراجَ الذي يصيب الأبَ المدخِّنَ عندما يريد أن ينصح ابنه بالابتعاد عن هذه العادة الذميمة التي تطيح بالمال والصحة.

وكثيراً ما نرى الولد وهو يتهكّم في داخله على هذه

النصيحة، ويرمي بها جانباً ولسانُ حاله يقول: اقرأ هذه النصيحةَ على نفسك أولاً!

يجب أن نتذكر دائماً أنَّ الولد ينظر إلى أبويه ثم إلى أساتذته نظرةً مثاليةً لا تقبل الخطأ أبداً، وإنَّ أي هزَّةٍ تصيب هذه (القدوة المثالية) تفاجئ الولد أيما مفاجأة، وربما أحدثت في نفسه خللاً يسيء إليه إساءةً بالغةً، لأن هذه الهزَّة تعني بالنسبة له أنَّ هناك تناقضاً كبيراً بين أقوال هذه القدوة وأفعالها، بين المعلومات النظرية التي حفظها منها، وبين الممارسات العملية التي رآها منها.

لذا، أتمنى أن يقرأ الوالد هذا الكتاب قبل الولد، وأن يستنير بهُداه، وأن يتمِّمَ ما نقُص من فضائل أخلاقه، وأن يقول لولده بأفعاله قبل أقواله: كُن هكذا، خصالاً حميدةً وسيرةً رشيدةً، ورأساً عالياً وقلباً حانياً، وهمةً قعساءَ وقفزةً علياء، لا تلين ولا تستكين لظلم الأيام وقسوة الظروف وتقلُّب الأحوال.

أسأل الله أن ينفعني وينفعَ إخواني في الوطنِ والدينِ والإنسانيةِ بما جاء في هذا الكتاب من الحكم الخالدة، وأن يجعلنا جميعاً من الذين يستمعون القولَ فيتَّبعون أحسنه.

أنور وردة

يا ولدي!

اجلس أمنحك وصيتي، وبالله توفيقك، فإنَّ وصيَّةَ المجرِّب قد تكون أنفعَ لك من كثيرٍ من التجارب والمعارف التي تكتسبُها في حياتك، والتي قد تدفع ثمنها من مالك أو وقتك أو حريتك أو كرامتك أو دينك.

❋ ❋ ❋

يا ولدي!

إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينةَ وتفرِّق بين المحبين، وقد أخبر النبي ﷺ عن رجلين كانا يعذَّبان في القبر: «**أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة بين الناس**»[1]، **والنميمة تُشعل الفتنةَ، والفتنةُ أشدُّ من القتل، والفتنةُ نائمةٌ لعن الله من أيقظها.**

واعلم أنَّ من نمَّ لك نمَّ عليك، ولقد نمَّ رجلٌ في مجلس

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحهما».

خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه على رجلٍ آخر، فقال له عمر: يا هذا، كلامك عن هذا الرجل إما حقٌّ وإما باطلٌ، فإن كان ما تقوله حقاً فأنت نمَّام، وأنت ممن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وإن كان ما تقوله باطلاً فأنت كاذبٌ، والكاذب فاسقٌ، وأنت إذاً من أهل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، فإن شئتَ فاعتزل مجلسنا، وإن شئتَ عفونا عنك على أن لا تعود لمثلها أبداً!

فقال الرجل: اعفُ عني يا أمير المؤمنين ولا أعود لمثلها.

يا ولدي، ألا تستطيع أن تكون مثل عمر بن عبد العزيز، فتوقفَ الكذَّابَ والنمَّامَ عند حدوده بهذا الأسلوب الحازم اللطيف؟!

يا ولدي!

من نمَّ في الناس لم تُؤمَن عقاربه ... على الصديق ولم تؤمن أفاعيهِ
كالسيل في الليل لا يدري به أحدٌ ... من أين جاء ولا من أين يأتيهِ
الويل للعهد منه كيف ينقضهُ ... والويل للود منه كيف يُفنيهِ!

يا ولدي!

إياك والغيبة، فإنها من الأخلاق المعيبةِ، وهي من الذنوب

الموجبة للسيئاتِ، المسوِّدة للصحائف يوم القيامة، والغيبةُ هي أن تذكرَ أخاك بما يكره.

دخل رجلٌ صالحٌ مجلساً، فوجد فيه أناساً يذكرون رجلاً بسوءٍ، فنهاهم عنه فانتهوا، وبعد قليلٍ عادوا للخوض في الحديث عنه بسوءٍ، فنسيَ الرجلُ الصالحُ نفسَه وخاض معهم في حديثهم، فلما نام رأى في نومه وكأنَّ طبقاً من الطعام فيه لحم خنْزيرٍ أسود يقدَّم لهُ، وأحدهم يقول له: كُل. فقال: لكني لا آكل لحم خنْزير! فقال له: بلى، أنت تأكل ما هو أسوأ من لحم الخنْزير! ثم قطع قطعةً من اللحم الأسود ووضعها في فمه وهو يقول له: كُل، فهذا لحم أخيك!

فلما أفاق وجد طعم اللحم المنكر في فمه، فبكى واستغفر اللهَ تعالى وتذكَّر قوله في القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

ولقد مرَّ الإمامُ عليٌّ كرَّم اللهُ وجهه بابنهِ الحسنِ رضي الله عنه وهو يستمع إلى رجلٍ يغتاب رجلاً آخر، فقال له: يا ولدي، نزِّه سمعَكَ عن سماع ما يقول هذا الرجل، فإنه نظر إلى أخبث ما في وعائه فأفرغَه في وعائك!

وقال رجلٌ لأحد الصالحين: إني لأرحمكَ وأحزنُ عليكَ مما يقول الناس فيك. فسأله: أسَمِعتني أقول فيهم شيئاً؟ قال لا. فقال: إذن، إياهم فارحم!

يا ولدي!

إياك والتعرضَّ لعيوب الناس، فتتخذك سهامهم هدفاً، ومن الصعب أن يثبت الهدف إن تكاثرت السهام عليه، وقلَّما ضربت السهامُ هدفاً إلا حطَّمته، فإن لم تحطِّمه جرحته حتى يَضعُفَ، ورحم الله الإمام الشافعي حيث قال:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى وحظُّكَ موفورٌ وعرضُك صيِّنُ
لسانك لا تذكر به عورةَ امرئٍ فكلُّك عوراتٌ وللناس ألسُنُ
وعينك إن أبدت إليك معايباً فصُنها وقل: يا عينِ للناس أعيُنُ
وعاشر بمعروفٍ وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسنُ

يا ولدي!

سمع أحد الصالحين رجلاً يسبُّ الحَجَّاجَ بنَ يوسف الثقفي، فقال له: يا أخي، إنَّ الحَجَّاجَ مضى إلى ربه، وستمضي أنت أيضاً إلى ربك، وستجد عند الحساب أنَّ ذنوبكَ التي ارتكَبتَها أشدُّ عليك من الذنوب التي ارتكبها الحَجَّاج، لأنَّ كلَّ نفسٍ بما كسبت رهينة، ولكلٍّ منكما يومئذٍ

شأنٌ يُغنيه، واعلم أنَّ اللهَ تعالى يقتصُّ من الحَجَّاج عن ظُلمه للناس، ويقتصُّ للحَجَّاجِ عن ظلم الناس له، فلا تشغلنَّ نفسك بعد اليوم بسبِّ أحدٍ!

يا ولدي!

إياك والتفريط بدينك، فإنه أغلى ما لديك.

وإياك والبخل بمالك، فبه تشتري الشرف والسيادة والثواب.

وإذا سألتَ فاسأل كريماً، فإنَّ الكريم يلين لهزَّتك، ولا تسأل لئيماً، فإنَّ اللئيمَ صخرةٌ لا ينفجر ماؤها. ومثِّل لنفسك ما استحسَنتَ من عمل غيرك فاعمل به لتلقى الحسنى عند الله، وعند عباد الله.

وإن استقبحتَ من عمل غيرك شيئاً فاجتنبه، فإنَّ الإنسان لا يرى عيب نفسه، لكنه يرى عيوب الآخرين، ولهذا كان أحد الصالحين يقول: تعلمتُ الأدبَ من قليلِ الأدب، أي: رأيتُ ما يفعله قليل الأدب من أعمالٍ مستهجنةٍ، فتجنَّبتُهُ فأصبحتُ أديباً مؤدباً.

وإياك والغدر، فإنه أقبح ما تعامل به الناس بينهم.

ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحُلَّة واللباس.

يا ولدي!

إياك والعجلة، فإنَّ العرب كانت تسميها (أمَّ الندامة)، لأنَّ صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويقرِّر قبل أن يفكِّر، ويقطع قبل أن يقدِّر، ويحمد قبل أن يجرِّب، ويذمُّ قبل أن يتأكد، ولن يصحب هذه الصفاتِ أحدٌ إلا صحبته الندامةُ واعتزلته السلامة.

يا ولدي!

جاهد هواك، فإنَّ الهوى مفتاحُ السيئاتِ وخصيمُ الحسنات، وكلُّ أهوائك لك عدو، وأعداها هو الهوى الذي تكتمه في نفسك، فهو الإثم بعينه، لأن الإثم هو ما حاك في صدرك وكرهتَ أن يطَّلع الناس عليه، وأعدى من هوى نفسك الهوى الذي يمثِّل لك الإثمَ في صورة التقوى، ولن تستطيع التمييزَ بين أهوائك وواجباتك إلا إذا كنتَ ذا حزمٍ لا يشوبه وهنٌ، وصدقٍ لا يطمع فيه تكذيبٌ، ومضاءٍ لا يقاربه تثبيطٌ، وصبرٍ لا يغتاله جزعٌ، ونيَّةٍ لا يقتسمها تضييع.

يا ولدي!

هل تحب أن تكون بلا وزنٍ يوم القيامة؟!

ستقول لي: وكيف أكون بلا وزنٍ في ذلك اليوم الرهيب؟

وأقول لك: اسمع كلام الله تعالى وتأمَّل في معانيه، تعرف كيف تكون بوزنٍ أو بلا وزنٍ عنده ﷻ.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥].

يا ولدي!

النظافة من الإيمان.

كان النبي ﷺ يحب الطِّيبَ ويأمر به، ويحب النظافة ويأمر بها، ويحب الأناقة ويأمر بها، وخاصةً عند التوجُّه إلى المسجد للمثول بين يدي رب العالمين، فالإسلام يقول للمسلمين:

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

لم لا، والله جميلٌ يحب الجمال؟!

يا ولدي!

النفسُ الجميلةُ تتوق إلى كلِّ جميل.

هل تستسيغ نفسُك أن تتحدَّث إلى أخيك في المسجد، أو إلى زميلك في العمل أو في المدرسة أو الجامعةِ أو في أي مكانٍ، فتشمَّ منه روائح الثوم والبصل، وترى على أسنانه آثار الطعام وعلائمَ لا تدل على النظافة؟

طبعاً لا تستسيغ نفسُك ذلك، وكذلك نفوس الآخرين، تنفر من كل إهمالٍ للمظهر وسوءِ عناية به، فعليك بالنظافة والطهارة والطِّيب والأناقة، والمؤمن أولى الناس بالمظهر الجميل والرائحة العطرة، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والنبي ﷺ يقول: «**الطهور شطر الإيمان**»(١).

وكان ﷺ يقول: «**حبّب إلي من دنياكم النساء والطّيب، وجُعِلَت قرّةُ عيني في الصلاة**»(٢).

ولقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» .فقَالَ له رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. فقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. . الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»(٣).

وقال الشاعر:

حسِّن ثيابك ما استطعتَ فإنها زين الرجالِ بها تُعزُّ وتُكرَمُ
ودع التخشُّنَ في الثياب تواضعاً فالله يعلم ما تُكِنُّ وتكتمُ

---

(١) رواه مسلم في «الصحيح».
(٢) رواه النسائي في «السنن»، حديث حسن.
(٣) رواه مسلم في «صحيحه».

فرَثاثُ ثوبك لا يزيدك رفعةً عند الإله وأنت عبدٌ مجرمُ
وجديد ثوبك لا يضرُّك بعد أن تطع الإلهَ وتتقي ما يَحرُمُ

يا ولدي!

كفى بالقرآن واعظاً.

يقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٦].

يا ولدي، هذا جزاء من يطفِّف الكيلَ والميزان، فما بالك بمن يبلع حقوق الآخرين؟!

يا ولدي!

من أكل من الحلال صفا دينُهُ، ورقَّ قلبُهُ، ولم يكن بين دعوته وبين الله حجاب.

ومن أكل من الشبهات اشتبه عليه دينه، وأظلم قلبه.

ومن أكل من الحرام مات قلبه، وخفَّ دينه، وضعُفَ يقينه، وحجب اللهُ قلبَه عن الدعاء، وما ظلمه الله تعالى، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.

يا ولدي!

إذا غضب الله على أحدٍ تركه يرتزق مالاً حراماً، وإذا

اشتدَّ غضبُه عليه وكَّل به شيطاناً يبارك له فيه، ويصحبه ويشغله بالدنيا عن الدين، ويسهِّل له أمور الدنيا ويقول له: إنَّ الله غفورٌ رحيم، ويُنسيهِ أنَّه سيُنشَرُ له يوم القيامةِ كتابٌ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها.

يا ولدي!

ما سافر أحدٌ طالباً الحرامَ إلا كان الشيطان قرينَه ورفيقَ دربه، ولا جمع أحدٌ مالاً من الحرام إلا أكله الشيطان وتناوشته المصائب، فإن نجا في الدنيا لحقته المصائب إلى الآخرة، وإن نجا بنفسه من ويلات الحرام، لم يضمن أن يدفع أهلُه وأولادُه وأحفادُه ضريبةَ انحرافه! يدفعونها من سُمعتهم أو من صحَّتهم أو من سلوكهم!

ألم تسمع قول الشاعر:

من يزنِ يُزنَ به ولو بجدارهِ إن كنتَ يا هذا لبيباً فافهمِ
لو كنتَ حراً من سلالة طاهرٍ ما كنتَ هتَّاكاً لحرمة مسلمِ

يا ولدي!

فرَّ من الحرام كما تفرُّ من المجذوم، وإذا اشتبه عليك أمرٌ: أحَلالٌ هو أم حرام، فآثِر جانب الله تعالى، فمن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه في دينه ودنياه، واذكر دائماً قول

النبي ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1].

أتدري يا ولدي لماذا أكَّد النبي ﷺ في ختام حديثه الشريف على أهمية القلب في صلاح أو فساد المرء؟!

لأنَّ القلبَ هو الضابط اليقظ والحامي الأمينُ لقبول أو رفض تصرفات الإنسان، فإذا ارتشى هذا الضابط أو انحرف أو نام أو تاه أو مات، فيا ويلاه ويا ثُكلاه!

يا ولدي!

ليس الشجاعُ الذي يحمي فريستَه عند القتال ونار الحرب تشتعلُ
لكنَّ من كفَّ طرفاً أو ثنى قدماً عن الحرام فذاك الفارس البطلُ

---

(١) رواه مسلم في «الصحيح»، ٥/ ٥٠.

يا ولدي!

إنَّ من القلوب ما هو حيٌّ مرهف الحسِّ تجاه الحلال والحرام، كقلب الخليفة الراشد أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنه.

ومنها ما هو ميِّت الإحساس عديم التأثر، كقلب ذلك الأعرابيِّ الجاهل.

أما قلب أبي بكرٍ رضي الله عنه فهاك قصته:

أتاه خادمه مرةً بحليبٍ وقدَّمه له، فلما شرب منه أبو بكرٍ رضي الله عنه تحركت في قلبه مؤشرات الحلال والحرام بشدَّةٍ، وشعر وكأنَّ ظُلمةً دخلت جوفه، وبكلمةٍ أخرى: شعر كأنَّ مصباح قلبه قد خفّت جذوته!

فاستدعى خادمه وسأله عن مصدر ذلك الحليب، فأخبره أنه كان قد تكهَّن بكهانةٍ لقومٍ في الجاهلية، فقبض ثمنها الآن واشترى به الحليب.

فأدرك أبو بكرٍ سرَّ هذه الظُلمة الداهمة: مالٌ حرامٌ دخل إلى جوفه، وعليه العمل على إخراجه فوراً!

فوضع يده في فمه وتقيأ، ثم شرب ماءً ووضع يده في فمه وتقيأ عدة مراتٍ، إلى أن شعر بأنَّ الحليب الحرامَ خرج منه قدر الإمكان، ثم قال بضراعةٍ: اللهم لا تؤاخذني بما امتصته العروق.

وأما قلب الأعرابي الجاهلِ صاحبِ القلبِ الميِّت فهاك قصته:

كان أحد الأعراب يُكثر الحلفَ بالطلاق، صادقاً كان أو كاذباً، فحلف مرةً يمين طلاقٍ أمام أحد أصدقائه على أمرٍ ما، فتبيَّن أنه كان كاذباً، فقال له صديقه: لقد طلُقت منك زوجتك!

قال الأعرابي: ماذا يعني ذلك؟!

فقال الصديق: يعني أنك لم تعد تستطيع الاقترابَ منها والنوم معها.

فأسرع الأعرابي إلى بيته، وأتى زوجته ونام معها كما ينام عادةً، فلم يختلف عليه الأمر في شيءٍ، فهزّ رأسه مستهزئاً بصاحبه وقال: زعم صديقي أني لم أعد أستطيع الاقتراب من زوجتي، وها قد اقتربتُ منها ولم أجد أيَّ عائق، يا له من صديقٍ جهول!

أرأيتَ يا ولدي كيف انطلى الأمر على هذا الأعرابي، فلم يميز بين الزواج وبين الزنى؟!

إنه ميزان الحلال والحرام في القلب الذي إذا صلُحَ صلُحَ الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله.

يا ولدي!

إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

من جمع ماله من الحرام لم تنفعه صدقتُه ولا زكاتُه، وكان كما قال الشاعر:

رأيتكَ تبني مسجداً من خيانةٍ فكنتَ بحمد الله غيرَ موفَّقِ
كمُطعمةِ الأيتامِ من مالِ عُهرِها لكِ الويلُ، لا تزني ولا تتصدقي!

يا ولدي!

اذكرِ اللهَ قائماً وقاعداً وعلى كل حال.

ما نسي أحدٌ ذِكر الله تعالى عند لقائه زوجته واقترابه منها إلا شاركه الشيطان في ولده، وذلك مصداق قول الله ﷻ للشيطان الرجيم: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

ولذلك كان النبي ﷺ يقول لأصحابه: «**أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَرُزِقَا وَلَدًا، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه».

وقال أيضاً: «**إذا أكل أحدكم فنسي أن يذكر الله تعالى على طعامه، فليقل: بسم الله أوله وآخره**»(١).

يحكى أنَّ شيطان المؤمن وشيطان الكافر التقيا، فكان شيطان الكافر أنيقاً سميناً كاسياً، وكان شيطان المؤمن هزيلاً ضعيفاً عارياً، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: ما لي أراك هزيلاً؟!

فقال: أنا مع رجلٍ إذا أكل سمَّى اللهَ تعالى فأظلُّ جائعاً، وإذا شرب سمى اللهَ فأظل عطشاناً، وإذا اكتسى سمى اللهَ فأظل عرياناً، وإذا اغتسل وتعطَّر سمى الله فأظل أشعثَ أغبرَ كما تراني.

فقال شيطان الكافر: لكنني مع رجلٍ لا يقول شيئاً من ذلك، فأنا كما تراني أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وسائرِ عمله!

يا ولدي!

شيئان لا تقربهُما أبداً: الشركُ بالله والإضرارُ بالناس، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني.

وقال رسول الله ﷺ: «**دخلت امرأةٌ النار في هرَّةٍ حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاشِ الأرض**»[١].

وورد عن النبي ﷺ في الحديث أنه قال: «**اجتنِبوا السبعَ الموبقات. قالوا: وما هي يا رسول الله؟! قال: الشركُ بالله، والسِّحرُ، وقتلُ النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات**»[٢].

وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنَّ الله تعالى غفر لزانيةٍ بسبب انتباهها لكلبٍ عطشانٍ رأته يلحس الأرض من العطش، فأشفقت عليه وملأت خُفَّها ماءً من البئر وحملته بفمها وسقت الكلب، فشكر الله صنيعَها وغفر لها[٣].

فهذا ضررٌ أصاب هرَّةً فأودى بصاحبته إلى النار، فكيف إذا أصاب الضرر عباد الله؟!

وهذا نفعٌ أصاب كلباً فاستحقَّ فاعلُه مغفرةَ الله ورضوانه، فكيف إذا أصاب النفع عباد الله؟!

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحهما».
(٢) أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما».
(٣) أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما».

يا ولدي!

قال رسول الله ﷺ: «**الخلق كلهم عيال الله، وأحبّ الخلق إلى الله أنفعهم لعياله**»(١).

لاحِظ يا ولدي أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام لم يقل: المسلمون عيال الله، ولا: العرب عيال الله، لكنه قال: الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، وهذا يعني أنَّ الله تعالى يُسَرُّ بالعبد الذي يفعل المعروفَ حتى مع الطير في الهواء، والسمكِ في الماء، والشجرِ في العراء.

فافعل الخير، وكن مصدر عطاءٍ ونفعٍ، واعلم أنَّ الأقربين أولى بكل معروف.

يا ولدي!

ليس النجاح والفلاح بكثرة الكلام، ولكن: عملٌ قليلٌ تؤديه وتثابر عليه، خيرٌ من برنامجٍ كبيرٍ تحلم به أو تنويهٍ ولا تؤدّيه.

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله، عظني وأوجز.

فتلا عليه النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، ٦/ ٤٣. وضعفه الألباني.

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، فقام الرجل وهو يقول: حَسْبِي لَا أُبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا![1].

يا ولدي!

أمضى رجلٌ بصحبة شيخه أكثر من ثلاثين سنة، فسأله الشيخ ذات يوم: ماذا تعلمتَ مني في هذه السنوات الثلاثين؟ فقال: تعلمتُ منكَ ثمانيةَ مسائل.

قال الشيخ: فقط ثمانيةُ مسائلَ في ثلاثين عاماً؟! لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وما هي هذه المسائلُ الثمانية؟!

فقال: نظرتُ إلى هذا الخلقِ، فرأيتُ أنَّ لكلِّ إنسانٍ محبوباً يصحبه في حياته حتى يموتَ ويذهبَ إلى قبره، فإذا ذهب إلى قبره فارقه كلُّ الناس حتى محبوبُه، ولا يبقى معه في قبره إلا عمله، فجعلتُ محبوبيَ العملَ الصالحَ والحسناتِ التي تأتي منه، حتى إذا كنتُ في قبري كانوا معي ولم يفارقوني.

قال الشيخ: أحسنتَ يا ولدي. ماذا تعلمتَ أيضاً؟!

فقال: نظرتُ في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، فعلمتُ

---

(١) رواه أحمد في «المسند»، ٣٤/ ٢٠١.

أنَّ قولَ الله حقٌ، فاجتهدتُ في دفع الهوى عن نفسي حتى استقرَّت نفسي على طاعة الله.

قال الشيخ: وماذا تعلمتَ أيضاً؟

قال الرجل: نظرتُ إلى هذا الخلق فرأيتُ الناس بخلاء حريصين على ما في أيديهم، فنظرتُ في قول الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فأكثرتُ من الصدقاتِ والإنفاق في سبيل الله، لأدَّخرَ مالي عند الله الذي لا ينفدُ ما عنده.

قال الشيخ: هذه ثلاثةُ مسائل، فما هي الرابعة؟

قال الرجل: نظرتُ إلى الخلق فوجدتُهم يتباهون بالمال والحسب والنسب. ونظرتُ في كتاب الله تعالى فوجدتُه يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فحاولتُ أن أكون تقياً حتى أكون عند الله كريماً.

قال الشيخ: أحسنتَ يا ولدي! فما الخامسة؟

قال: نظرتُ إلى الناس فوجدتُ أكثرهم متباغضين متطاعنين متلاعنين، يحسد بعضُهم بعضاً، ونظرتُ إلى القرآن الكريم فوجدتُه يقول: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

[الزخرف: ٣٢]، فتركتُ الحسدَ وعداوةَ الخلق، وعلمتُ أنَّ الذي قسمه لي ربي كائنٌ لا محالة.

قال الشيخ: فما السادسة؟

فقال: نظرتُ إلى الخلق فوجدتُهم يبغي بعضُهم على بعضٍ، ويعادي بعضُهم بعضاً، فدقَّقتُ في الأمر فإذا بوساوس الشيطان وراء ذلك، وقرأتُ في القرآن قول ربي: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، فعاديتُ الشيطانَ وأحببتُ الناس جميعاً.

وأما السابعة فإني نظرتُ إلى الخلق فوجدتُهم يتناهبون ويتطاحنون ليجمعوا المال ويكنِزوه، وقرأتُ قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، فعلمتُ أني من المرزوقين، فقلتُ لنفسي: فيمَ إذن كَنْزُ المال والاستماتة في سبيل جمعه؟! فاكتفيتُ بما قدّره لي ربي من الرزق، واشتغلتُ بالله مكتفياً به عمَّا سواه.

وأما الثامنة فإني نظرتُ إلى الناسِ فوجدتُ مخلوقاً يتوكل على مخلوقٍ، فرجعتُ إلى القرآن فوجدتُ اللهَ تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، فتوكلتُ على الله وعلمتُ أنه نِعمَ الوكيل، نعمَ المولى ونعم النصير.

فقال الشيخ: وفَّقك اللهُ يا بني، أثلجتَ قلبي، لقد جمعتَ محامدَ الخير في مسائلكَ الثمانيةِ هذه.

يا ولدي!

لا تتكلم في ما لا يعنيك، فإنَّ مِن حُسنِ إسلام المرء تركَه ما لا يعنيه، وإنَّ الكلمةَ إذا خرجت من فمك ملَكَتكَ، فإن حبستَها فيه ملكتَها، ولذلك كان أحد الصالحين يتمنَّى لو كانت رقبتُه كرقبة الجمل أو الزرافة، ليستطيع حبسَ الكلام فيها أكثر ما يمكن، فإن أبيتَ إلا الكلامَ فاعلم أنَّ النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت!**»[1] لأنَّ الإنسان قد يتفوه بالكلمة يحسبها هيِّنةً ولا يلقي لها بالاً، فيهوي بها سبعين خريفاً في نار جهنم يوم القيامة!

يا ولدي!

اللسان كالضَّبعِ الغادرِ، إن لم تُحسن وثاقَه اعتدى عليكَ وربما أرداك!

قد تقول لي: كيف يعتدي لساني عليَّ ويرديني؟!

وأقول: يعتدي على الآخرين فيستعديهم عليك! ولذلك قال الشاعر:

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحهما».

احذر لسانَك أيها الإنسانُ لا يلدغنَّكَ إنه ثعبانُ
كم في المقابر من قتيلِ لسانِهِ كانت تهابُ لقاءَه الشجعانُ!

يا ولدي!

لا شيء أولى بطول الحبس من لسانٍ يسرع إلى الجواب ويقصِّر عن الصواب!

يا ولدي!

إياك أن تقابلَ الشرَّ بالشرِّ، وإن استطعتَ أن تقابل الشرَّ بالخير والإحسان فافعل، وإلا فكُفَّ يدك واتَّقِ الله، وقل كما قال هابيلُ لأخيه قابيل: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

ولقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤].

يا ولدي!

إنكَ إن قابلتَ الشرَّ بالشرِّ كنتَ شريراً، وإن قابلتَه بالخير كنتَ محسناً، فهل يستوي المحسنُ بغيره؟ وهل يستوي الأعمى والبصير؟ وهل تستوي الظلمات والنور؟

كلا يا ولدي، لا يستوون أبداً، ورحم الله الشاعر حيث قال:

من يفعلِ الخيرَ لا يعدم جوازيهُ لا يذهب العُرفُ بين الله والناسِ

يا ولدي!

كلما استطعتَ أن تعفوَ عن المسيء فاعفُ عنه، فإنك تجد في نفسك لذةً لا تجد مثلها عندما تنتقم منه، ولقد كان الخليفة العباسيُّ المأمونُ يقول: لو علِم الناسُ ما نجدُ في العفو من اللذةِ لتقرَّبوا إلينا بالذنوب والجنايات، وكان الإمام الشافعي يقول:

لمآّ عفوتُ ولم أحقد على أحدٍ أرحتُ نفسيَ من همِّ العداواتِ
إني أُحيِّي عدوِّي عند رؤيتهِ لأدفعَ الشرَّ عني بالتحيَّاتِ
وأُظهِرُ البِشرَ للإنسان أُبغِضُهُ كأنَّهُ قد حشا قلبي مَودَّاتِ
ولا أُنافقُ إن دارَيتُ يا ولدي لا بدَّ لا بدَّ من بعض المداراةِ

يا ولدي!

الطِيبةُ والتسامحُ وغفرانُ أخطاء الآخرين شيءٌ، والسذاجةُ شيءٌ آخر!

إنَّ الطيبة والتسامح وغفران أخطاء الآخرين لا تعني أبداً السذاجةَ والتهاونَ وتمكينَ هؤلاء الآخرين من تمرير إساءاتهم تجاهك الواحدة تلو الأخرى، مستغلِّين ما تحمل في قلبك من

قِيَمٍ عظيمةٍ وأخلاقٍ كريمةٍ، ولقد حدث بين النبي ﷺ وبين أبي عزَّةَ الشاعرِ ما يوضِّح لك المقصود.

كان أبو عزّة شاعراً غير مسلم، وكان كثير الإساءة للمسلمين بشكلٍ عام، وللمسلمات بشكلٍ خاص، فلقد كان يتناولهنَّ بأشعاره بما لا يليق بهنَّ، وفي إحدى المعارك وقع أبو عزة أسيراً بين يدي المسلمين، وأراد النبي ﷺ أن يقتله جزاءً له على ما جنى لسانُه من إساءاتٍ، فبكى واسترحم النبيَ عليه الصلاة والسلام وقال له: يا رسول الله، بناتي بناتي، ليس لهنَّ عائلٌ غيري، فإن متُّ فسوف يَبقين يتامى لا يجدن من يقوم بشؤونهنَّ، فاعفُ عني، وأعاهدك على أن لا أعود لهجاء نسائكم أبداً.

ورقَّ قلب النبي ﷺ للبنات، فعفا عن أبيهنَّ إكراماً لهنَّ، لكنَّ أبا عزة لم يلتزم بالعهد الذي قطعه على نفسه، وعاد إلى ما كان عليه من الفحش والبذاءة، إلى أن سقط أسيراً مرةً ثانيةً في أيدي المسلمين، فحاول أن يعاود استرحام قلبِ الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله: يا رسول الله، بناتي بناتي، وأعاهدُكَ أعاهدُكَ، لكنَّ النبيَ ﷺ، الأستاذَ الكبيرَ في مدرسة الحياة، قال لهذا الكاذب الغادرِ الناكثِ بعهدِه: «أين

ما أعطيتني من العهد والميثاق؟ لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول: سخرت بمحمدٍ مرتين.. فقتله»[1].

يا ولدي!

كن صاحياً لخصومك، فإنَّهم يرتدون كلَّ أثواب الخداع لإيقاعك! واسمع هذه المقطوعةَ النفيسةَ التي يجسِّد فيها الشاعر الحكيم صحة ما أقول:

برز الثعلب يوماً ... في ثياب الواعظينا
فمشى في الأرض يهذي ... ويسبُّ الماكرينا
ويقول: الحمد للهِ ... إلهِ العالمينا
يا عباد الله توبوا ... فهو كهف التائبينا
وازهدوا في الطير إنَّ ... العيشَ عيشُ الزاهدينا
واطلبوا الديكَ يؤذِّن ... لصلاة الصبح فينا
فأتى الديكَ رسولٌ ... من إمام الناسكينا
عرضَ الأمرَ عليهِ ... وهو يرجو أن يلينا
فأجاب الديك: عذراً ... يا أضلَّ المهتدينا!
بلِّغِ الثعلبَ عني ... عن جدودي الصالحينا

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» عن سعيد بن المسيب (٩/ ٦٥).

عـن ذوي الـتـيـجـانِ مـمَّـن دخـل الـبـطـنَ الـلـعـيـنـا
أنـــهـــم قـــالـــوا وخـــيـــر الـقـولِ قـولُ الـعـارفـيـنـا:
مـخـطـئٌ مـن ظـنَّ يـومـاً أنَّ لـلـثـعـلـب ديـنـا

يا ولدي!

اصنع المعروف مع كل الناس: مع من هم أهلٌ له ومع من ليسوا من أهله، فإن أصبتَ أهله فهم من أهله، وإن لم تصبهم، فأنتَ من أهله.

يا ولدي!

لا تخدَع، ولكن لا تُخدع!

كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لستُ بالخِبِّ[1]، والخبُّ لا يخدعني!.

فعليك بالانتباه واليقظة والتفطُّن لمسالك الناس: صالِحِهم وطالِحِهم، وعليك بتحديد نوع المعروف الذي يمكن أن تقدِّمه لكلٍّ منهم، وإلا فهل من المعروف والإحسان أن تضمَّ ثعباناً إلى صدرك ضمَّةَ الأم الرَؤُوم لوليدها؟! وهل من المعروف أن تضع العقربَ في جيبك لتهبه الدفءَ والراحةَ والأمان؟!

---

(١) الخب: المخادع.

واسمع هذه الحكاية ليتبيَّن لك المقصود.

خرج قومٌ لصيدٍ، فطاردوا ضَبعةً حتى ألجئوها إلى خيمة أعرابيٍ، فأجارها الأعرابيُ ومنع الصيادين من قتلها، وأبقاها في خيمته وصار يُطعمُها ويسقيها ويُناديها (أمَّ عامر)، وكان الناس ينصحونه قائلين: هذه ضَبعةٌ غادرةٌ وليس لها أمانٌ، والعاقل لا يستضيف الغادرَ في بيته! لكنه كان لا يستجيب لنصح الناصحين.

فبينما هو نائمٌ ذات يومٍ وثبت عليه هذه الضبعة (أمُّ عامرٍ) فبقرت بطنَه وقتلته وهربت، فجاء ابن عمه فوجده قتيلاً، فتبع الضبعةَ حتى وجدها، فقتلها وأنشدَ يقول:

ومن يصنعِ المعروف في غير أهله ... يلاقي كما لاقى مجير (أمِّ عامرِ)
أعدَّ لها لمَّا استجارت ببيته ... أحاليبَ ألبانِ اللقاحِ الدرائرِ
وأسمنَها حتى إذا ما تمكَّنت ... فرَتهُ بأنيابٍ لها وأظافرِ
فقل لذوي المعروف: هذا جزاءُ من ... يجود بمعروفٍ على غير شاكرِ

يا ولدي!

الطبعُ يغلب التطبُّعَ.

دخل رجلٌ على عجوزٍ في البادية، فوجدها تبكي وبين يديها شاةٌ مقتولةٌ، وإلى جانبها ذئبٌ صغير، فسألها: ما بك

يا خالة؟ فقالت: هذا الذئب كان جرواً صغيراً، أخذناه وربّيناه في بيتنا، وسقيناه من حليب هذه الشاة حتى كبر، فلما كبر وثب على الشاة فقتلها، ونسي الحليب الذي رضعه منها! ثم نظرت إلى الذئب وقالت له:

بقرتَ شويهتي وفجعتَ قلبي وأنت لشاتنا ابنٌ ربيبُ
غُذِيتَ بدرِّها ورضعتَ منها فمن أنباك أنَّ أباك ديبُ
إذا كان الطباع طباعَ سوءٍ فلا أدبٌ يفيد ولا أديبُ!

يا ولدي!

إياك أن تأمن عدوَّك أو تظنَّ به الظنَّ الحسنَ، أو تصطنعَ معه المعروف، فالعدوُّ هو العدو، فاحذر أعداءك، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، ولك في قصة الكلب والقط والفأر عبرةٌ وعظة، فاسمعها من فم شاعرٍ ماهرٍ يقول:

فأرٌ رأى القطَّ على الجدارِ معذَّباً في أضيق الحصارِ
والكلبُ في حالته المعهوده مستجمعاً للوثبة المعهوده
فحاولَ الفأرُ اغتنامَ الفرصه وقال: أكفي القطَّ هذي الغصَّه
لعلَّه يكتب بالأمانِ لي ولأصحابي من الفئرانِ
فسارَ للكلب على يديهِ وبعثرَ الترابَ في عينيهِ

فانشغل الكلب بما اعتراهُ ... وفرَّ ذاك القطُّ من قفاهُ
مبتهجاً يفكِّرُ في وليمه ... وفي فريسةٍ لها كريمه
يجعلها لخَطبهِ علامه ... يذكرها فيذكر السلامه
وجاء ذاك الفأرُ في الأثناءِ ... وقال: عاش القطُّ في هناءِ
رأيتَ في الشدةِ من إخلاصي ... ما كان منه سببُ الخلاصِ
وقد أتيتُ أطلبُ الأمانا ... فامنن به لمعشري إحسانا
فقال: حقاً هذه كرامه! ... غنيمةٌ، وقبلَها سلامه!
يكفيكَ فخراً يا كريمَ الشيمه ... أنك فأر الخطبِ والوليمه
وانقضَّ في الحال على الضعيفِ ... يأكله بالملح والرغيفِ
فقلتُ في المقام قولاً شاعا: ... مَن حفظَ الأعداءَ يوماً ضاعا!

يا ولدي!

إذا كنتَ ذا فعلٍ ولم تكُ عالماً ... فأنتَ كذي رِجلٍ وليس له نَعلُ
وإن كنتَ ذا علمٍ ولم تكُ فاعلاً ... فأنت كذي نَعلٍ وليس له رجلُ

يا ولدي!

عِلمُ العليمِ وعَقلُ العاقلِ اختلفا: ... أيُّ الذي منهما قد أحرز الشَّرَفا
فالعِلمُ قال: أنا أحرزتُ غايتَهُ ... والعقل قال: بيَ الرحمنُ قد عُرِفا
فأفصح العلمُ إفصاحاً وقال له: ... بأيِّنا اللهُ في قرآنه اتَّصفا؟!

فبان للعقل أنَّ العلمَ سيِّدُهُ فقبَّل العقلُ رأسَ العلمِ وانصرفا

يا ولدي!

من كانت فيه سبعُ خصالٍ لم يُعدم سبعاً: من كان جواداً لم يُعدم الشرف، ومن كان وفيَّاً لم يعدم المحبة، ومن كان صادقاً لم يعدم القبول، ومن كان شاكراً لم يَعدَم الزيادة، ومن رعى الحقوق لم يَعدَم السؤدد، ومن كان منصفاً لم يَعدَم السلامة، ومن كان متواضعاً لم يَعدَم الكرامة.

يا ولدي!

إنَّ الدنيا دار ممرٍّ، وإنَّ الآخرةَ دار مقرٍّ، فخذ من ممرِّكَ لمقرِّكَ، ولا تهتك ستركَ عند من لا يخفى عليه سرُّكَ، وأخرِج الدنيا من قلبك قبل أن يخرجَ منها بدنُك، ففيها حييتَ ولغيرها خُلِقتَ، واليومَ يومُ عملٍ ولا حساب، وغداً يوم حسابٍ ولا عمل، وإنَّ الرجلَ إذا مات قال الناس: ماذا ترك؟! وقالت الملائكة: ماذا قدَّم؟! فخذ من وقتكَ ومالكَ بعضاً، يكن لك في الآخرة قرضاً، وأحسن كما أحسن الله إليك.

يا ولدي!

ما من يومٍ إلا وملَكٌ ينادي: يا ابن آدم، قليلٌ يكفيكَ خيرٌ

من كثيرٍ يُطغيكَ، قليلٌ تؤدِّي شكرَه خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقه، اللهم أعطِ منفقاً خلفاً وأعطِ ممسكاً تلفاً.

يا ولدي!

لا تتكلف المبالغة في تحميل الكلام ما لا يطيقه من التأويلات والمعاني، فتقع في شراكٍ نسجَتها يداك، كما وقع فيها أحد المتكلّفين المبالغين الحاضرين في مجلس الخليفة المنصور العباسي، فقد فسَّر هذا المتكلفُ قولَ الله تعالى عن النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، فقال: المقصود بها أهل بيت النبي ﷺ، فإنهم النحل، والشراب الذي يخرج من بطونهم هو القرآن الكريم، فقال له أحد الحاضرين في المجلس: إذن جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطون بني هاشم! فأفحمه وأضحكَ الحاضرين عليه.

يا ولدي!

نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغُ، ولقد قال الشاعر:

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَه مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسده!

فالشبابُ يعني القوةَ والقدرةَ والصحة، والفراغُ يشمل فراغَ الوقت من العمل، وفراغَ النفس من القِيم، وهذا يعني بالتالي

وجودَ الوقتِ الكافي للبحث عن المتعة السريعة الزائلة الزائفة، والجِدَةُ تعني وجودَ المال والإمكانياتِ الماديةِ الكافيةِ لتحقيق ما يصبو إليه الإنسان.

فإذا اجتمعت هذه الأشياءُ الثلاثة: الشبابُ والوقتُ واليسارُ الماديُّ، وغابت التقوى والأخلاقُ والانشغالُ بالعمل النافع، فتصوَّر إلى أي مفسدةٍ يمكن أن ينساق المرءُ!

ولهذا قال النبي ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمسٍ: شبابَك قبل هرمك، وصحَّتَك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتَك قبل موتك**»(١).

يا ولدي!

كلُّ معروفٍ صدقةٌ، وكلُّ ما أنفق الرجل على نفسه وأهله فهو صدقة، وما وقى به الرجلُ عرضه فهو له صدقة، وما أنفق الرجل من نفقةٍ فعلى الله خَلَفُها.

يقول النبي ﷺ: «**إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرتَ بها، حتى اللقمة ترفعها إلى فيّ امرأتك**»(٢)!

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين»، ٤/ ٣٤١، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما».

يا ولدي!

عليك ببرِّ الوالدين، فما من ولدٍ ينظر إلى والديه نظرةَ رحمةٍ إلا كتب الله له بكلِّ نظرةٍ رحمةً وثواباً، ومن قبَّلَ عيني أمِّه كان له بذلك أجر يراه في صحيفة أعماله، ومن قبَّل رِجل أمِّه كان كمن قبَّل عتبةَ الجنَّة، فقد أمر رسول الله ﷺ أحد أصحابه ببرِّ أمه وقال له:

«**الزم رِجلها فثمّ الجنة**»[1].

يا ولدي!

إذا ماتت أمُّ الرجل نادى ملكٌ من السماء: يا ابنَ آدم، ماتت التي كنا نكرمك من أجلها، فاعمل عملاً صالحاً نكرمك من أجله!

يا ولدي!

اسمع هذه الحكاية التي رواها الشاعر، ليبرهن لك أنَّ قلبَ الأمِّ غفارٌ لأخطاء ولدها، مهما كانت هذه الأخطاء فاجعةً مريعة!

يقول الشاعر:

أغرى امرؤٌ يوماً غلاماً جاهلاً بنقودِه حتى ينالَ بها الوطر

---

(١) رواه ابن ماجة في «سننه»، وصححه الألباني.

قال: ائتني بفؤادِ أمكَ يا فتى ... ولك اللآليءُ والجواهرُ والدُرر
فمضى وأغمد خنجراً في صدرها ... والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى ... وتدحرج القلبُ المضرَّجُ إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو معفَّرٌ: ... ولدي، حبيبي، هل أصابكَ من ضرر؟!
وكأنَّ هذا الصوتَ رغم حنُوِّهِ ... غضبُ السماءِ على الغلام قد انهمر!
فظيعُ خيانةٍ لم يأتها بشرٌ ... سواه منذ تاريخِ البشر!
فارتدَّ نحو القلبِ يغسله بما ... فاضت به عيناه من سَيلِ العِبَر
واستلَّ خنجره ليطعنَ قلبَهُ ... طعناً ويبقى عبرةً لمنِ اعتبر
ناداه قلبُ الأمِّ: كُفَّ يداً ولا ... تذبح فؤادي مرَّتينِ على الأثر!

يا ولدي!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فالتزم بما أمرك ربُّك، وانتَهِ عما نهاك، ولا تقل: هذا أمرٌ صعبٌ، فلقد قال الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتعظم في عين الصغير صغارُها ... وتصغرُ في عين العظيم العظائمُ!

يا ولدي!

إذا أَمَرتَ بمعروفٍ فكُن أوَّلَ فاعِليه، وإذا نَهَيتَ عن مُنكرٍ فكن أولَ تارِكيه.

يقول النبي ﷺ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا فِي النَّارِ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَا، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ إِلَيْهِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، أَمَا كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ؟! فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[1].

يقول الشاعر:

يا أيها الرجلُ المعلِّمُ غيرَهُ ... هلا لنفسكَ كان ذا التعليمُ
تصف الدواءَ لذي السقامِ وذي الضنا ... كيما يصحَّ به وأنت سقيمُ
ونراك تلقحُ بالرشادِ عقولَنا ... أبداً وأنتَ من الرشادِ عديمُ
فابدأ بنفسكَ فانهَها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
لا تَنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ!

يا ولدي!

الرجال ثلاثةٌ: سابقٌ ولاحقٌ وماحقٌ، فالسابق هو من سبق

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما».

آباءَه بجهده وفضله وإنجازاتِه، واللاحق هو من عمل مثل ما عملوا، والماحقُ هو من عمل آباؤه خيراً فعمل هو شرّاً، وعملوا عظيماً فعملَ ذميماً، فمحقَ جمالَ ما عملوا بقُبحِ ما عمل!

فأرِني من نفسك خيراً، وشمِّر عن ساعد الجد والاجتهاد، واعلم أنَّ الشاعر قال:

لا تقل أصلي وفصلي إنما أصلُ الفتى ما قد حصل
قيمةُ الإنسان ما يُحسنهُ أكثرَ الإنسانُ منه أم أقلّ!

يا ولدي!

إياك والرياء، فإنَّ الله لا يتقبل من المرائي عملاً أبداً، ولقد اعتبر الإسلامُ الرياءَ شِركاً خفياً، لأنَّ المرائي يعمل العملَ فيريد به وجهَ الناس ورضاهم، ولا يريد به وجهَ الله ورضاه!

واسمع حديث النبي ﷺ حيث قال: «**إنَّ أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد، فأُتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ. قال: كذبتَ، ولكنك قاتلت ليقال جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجلٌ تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما**

عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالمٌ، وقرأتَ القرآن ليقال: هو قارئٌ، فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلتَ ليقال: هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار»[1].

يا ولدي!

من أرضى اللهَ بسخط الناس، رضي الله برضوانه عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناسَ بسخط الله، غضبَ الله عليه وأغضب عليه الناس، فقلوب العباد بين يديه ﷻ، يفتحها كما يشاء، ويغلقها كما يشاء!

يا ولدي!

من أخذ أموالَ الناسِ يريد أداءَها أدَّى اللهُ عنه، ومن أخذها يريد إتلافَها أتلفه الله!

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه».

يا ولدي!

خيرُ إخوانِك الوافرُ دينه، الوافي عقلُه، الذي لا يملُّكَ على القربِ، ولا ينساك على البُعدِ، الذي إن دنَوتَ منه داناكَ، وإن ابتعدتَ عنه راعاكَ، وإن استعنتَ به عَضَدَكَ[١]، وإن احتجتَ إليه رَفَدَك[٢]، وتكون مودَّةُ فعلِه أكثرَ من مودَّةِ قولِه، ولقد أحسن الشاعرُ حين وصفَه بقوله:

إنَّ أخاكَ الصِدقَ من يسعى معك ومن يضرُّ نفسَهُ لينفعك
ومن إذا ريبُ الزمان صدَّعك شتَّتَ فيكَ شملَه لينفعك

فقل لي يا ولدي: أين تجد مثلَ هذا الصديق؟!

أنا لم أجد مثلَه في الحياة أبداً، وكاد الشاعر يصدق حين قال:

إني رأيتُ المستحيلَ ثلاثةً: الغولُ والعنقاءُ والخِلُّ الوفي!

يا ولدي!

خمسةٌ لا تصحبنَّهم ولا تحادِثهم ولا ترافقهم في سفرٍ أو حضر: الفاسقُ والبخيلُ والكذَّابُ والأحمقُ وقاطِعُ الرَّحِم.

---

(١) عضدك: دعمك وساندك.

(٢) رفدك: أعطاك وأمدَّك بما تحتاج إليه.

أما الفاسقُ فهو بلا قيَمٍ ولا مبادئ، وسيبيعك بأقلِّ الأثمان!

وأما البخيل، فيَضُنُّ عليك بمالِه حالما تحتاجُ إليه.

وأما الكذَّاب، فإنه كالسراب: يقرِّب إليك البعيدَ، فإذا جئتَه لم تجِده شيئاً!

وأما الأحمقُ فإنه يريد أن ينفعَكَ فيضرُّكَ!

قد تقول لي: كيف يضرُّني وهو يريد أن ينفعني؟! وأقول لك:

كان غلامٌ أحمقٌ يحب أباه حباً جماً، وذات يوم كان الأبُ نائماً، فوقفت على وجهه ذبابةٌ، فطردها الولد، لكنها عادت، فطردها مرةً ثانيةً فعادت، فطردها أيضاً فعادت، فخاف الولد أن تُزعجَ الذبابةُ والده وتوقظَه من نومه، فأتى بحجرٍ كبيرٍ وضربها به، فطارت الذبابةُ، لكنَّ الحجر أصاب وجه أبيه، وشجَّه فسالت منه الدماء بغزارة!

أرأيتَ يا ولدي كيف يريد الأحمق أن ينفع فيضرّ؟!

وأما قاطع الرحم، فإني وجدتُه ملعوناً مذموماً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله.

يقول الله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٢ ـ٢٣].

ويقول النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»(١).

يا ولدي!

لما أتيتُ الناس أطلب عندهم أخا ثقةٍ عند ابتلاء الشدائدِ
تقلبتُ في دهري رخاءً وشدَّةً وناديتُ في الأحياء: هل من مساعدِ؟!
فلم أرَ في ما ساءني غيرَ شامتٍ ولم أرَ في ما سرَّني غيرَ حاسدِ

ولا عجب في ذلك يا بني، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

يا ولدي!

الحبُّ يجعل الصعب سهلاً والمستحيلَ ممكناً.

والحبُّ في اللهِ ولله أسمى وأحلى وأغلى وأرقى وأتقى وأنقى أنواعِ الحب!

وما تحابَّ اثنانِ في الله إلا كان أفضلَهما عند الله أشدُّهما حباً لصاحبه، وما زار أخٌ أخاً في الله، شوقاً إليه ورغبةً في

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه».

لقائه، إلا نادته الملائكة: طبتَ وطاب ممشاك، وطابت لك الجنة.

يقول النبي ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِى عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِى اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[1].

يا ولدي!

خُلُقانِ يحبهما اللهُ ﷻ، وخُلُقان يبغضهما!

فأما الخُلُقان اللذان يحبهما فهما: حُسنُ الخُلُقِ والسخاء.

وأما اللذان يبغضهما فهما: سوء الخُلُقِ والبخل.

وكان النبي ﷺ يتعوّذ من البخل فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما».

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما».

يا ولدي!

إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً استعمله في قضاءِ حوائج الناس.

ولقد قال النبي ﷺ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(١)، **وقال الشاعر:**

الناس للناس مادام الحياةُ بهم والسعدُ لا شك هبَّاتٌ وهبَّاتُ
وأفضل الناس ما بين الورى رجلٌ تُقضى على يده للناس حاجاتُ
لا تمنعنَّ يدَ المعروفِ عن أحدٍ مادمتَ مقتدراً فالسعدُ تاراتُ
واشكر فضائلَ صُنعِ اللهِ إذ جُعِلت إليكَ لا لكَ عندَ الناس حاجاتُ
قد مات قومٌ وما ماتت مكارمهم وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتُ

يا ولدي!

من عَظُمت نعمة الله عليه، كَثُرَ احتياج الناس إليه، فمن لم يحتمل حاجات الناس ويبذل جهده في تلبيتها، فقد عرَّض تلك النعمة للزوال.

يا ولدي!

احمدِ اللهَ على كل حالٍ، واحمده عند كل حركةٍ وسكون.

كان النبي ﷺ إذا أكل أو شرب قال: «**الحمد لله الذي**

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه»، ٨/ ٧١.

أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»[١]. وقال: «**الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوّغه وجعل له مخرجاً**»[٢].

وكان إذا شرب الماء يقول: «**الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا**»[٣].

وكان إذا اكتسى ثوباً جديداً قال: «**الحمد لله الذي كساني هذا من غير حولٍ مني ولا قوة**»[٤].

وكان إذا ركب دابةً قال: «**سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون**»[٥].

يا ولدي!

احمَدِ الله عند النعمة وعند الضيق، عند الفرَجِ وعند الامتحان.

مرَّ أحد الناس بشيخٍ أعمى قد أصابه الفالجُ وأتت عليه الأمراض، فسمعه يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وضعفه الألباني.

(٢) رواه أبو داوود، وصححه الألباني.

(٣) رواه الطبراني في كتاب «الدعاء» ١/ ٢٨٠. وضعفه الألباني.

(٤) رواه أبو داود، ٤/ ٧٤، وقال الألباني: حسن.

(٥) رواه أحمد في «المسند»، ١٠/ ٣٩٥. وابن حبان في «الصحيح»، ٦/ ٤١٤. إسناده حسن.

كثيراً من الناس وفضَّلني على كثيرٍ من خلقه تفضيلاً.

فتعجَّب الرجل وسأله: ومَّم عافاكَ الله؟! لا أرى إلا البلايا محيطةً بك نازلةً عليك!

فأجابه: أصلحك اللهُ ثم هداك، ألا تراه عافى لساني، فأنا أحمده به في كلِّ آن، وعافى قلبي فأنا أذكره به في كلِّ حين؟! لو شاء ربي لابتلاني فيهما كما ابتلاني في غيرهما!

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: ما ابتُليتُ ببلاءٍ إلا ورأيت لله عليَّ فيه أربعَ نِعَمٍ:

أنه لم يكن في ديني.

وأنه لم يكن أعظم مما كان.

وأني لم أُحرم الرضا به.

وأني أرجو ثواب الله عليه.

ولقد أصابت دمَّلةٌ خبيثةٌ فتاةً في باطن كفها فقالت: الحمد لله الذي ابتلاني في كفي وعافاني في سائر جسدي، والحمد لله الذي لم يجعل هذه الدملةَ في عيني أو لساني أو شفتي أو باطن قدمي!

يا ولدي!

اخشع في صلاتك، فقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

وقال النبي ﷺ: «**إنّ أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه**»(١).

فاعلم عندما تصلي أنك تقف بين يدي جبار السموات والأرض، ملكِ الملوك في الدنيا والآخرة، فأعط هذا الملك حقه من التذلل بين يديه، والتضرع إليه، والانشغال به لا بسواه.

يا ولدي!

إن لم يخشع قلبك في الصلاة فلستَ بخاشع.

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلاً يطأطئ رقبته وهو يصلي، فقال له: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، إنَّ الخشوع في القلوب وليس في الرقاب.

وكان أحد الصالحين يستعيذ بالله من خشوع النفاق، فسئل: وما خشوع النفاق؟ فقال: أن ترى الجسدَ خاشعاً والقلبَ ليس بخاشع!

يا ولدي!

لا تُسرف، ولا تُقتِّر، وكُن بين ذلك قواماً.

وصف الله تعالى عباده المؤمنين بأنهم: ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه».

وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧]، وكان إنفاقُهم بين ذلك قواماً، ونهى اللهُ تعالى عن الإسراف كما نهى عن البخل فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

فيا ولدي، إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى، وإن أدبرت عنك فأنفِق منها فإنها لا تبقى، ولقد قال القائل: لا خيرَ في السَرَف، ولا سَرَفَ في الخير، وقال الشاعر:

لا تبخلنَّ بدنيا وهي مُقبلةٌ فليس يُنقِصُها الإنفاقُ والسرفُ
وإن تولَّت فأحرى أن تجودَ بها فالحمدُمنهاإذاماأدبرتخَلَفُ

واعلم أن موازين الله في الإنفاق تختلف عن موازيننا البشرية، ففي الإسلام قد يسبق درهمٌ مئة ألف درهم!

ولعلك يا ولدي تتساءل كيف يكون ذلك!

وإليك الجواب: ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**سبق درهمٌ مئة ألفٍ**». فاستغرب الصحابة الكرام ذلك وسألوه: كيف؟! فقال: «**رجلٌ له درهمان، فأخذ أحدهما فتصدق به! ورجلٌ له مالٌ كثيرٌ، فأخذ من عرَضِ ماله مئةَ ألفٍ فتصدق بها!**»[1].

---

(١) رواه النسائي في «سننه»، وحسّنه الألباني.

ألا ترى أنَّ صاحبَ الدرهم تصدَّق بنصف ماله، وصاحب المئة ألفٍ تصدَّق بشيءٍ من ماله، فسبق صاحبُ الدرهم صاحبَ المئة ألف درهم؟!

يا ولدي!

المال زينةٌ في الحياة الدنيا، فلا تجعله فتنةً تصرفك عن الدار الآخرة.

يحكى أنَّ الصحابيَّ الجليلَ أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه كان يصلي في بستانٍ له، وأثناء صلاته رأى طائراً صغيراً دخل من بين أغصان الأشجار الكثيفة، ثم أراد أن يخرج منها فما استطاع الخروج لشدة كثافة الأغصان.

كان أبو طلحة يراقب الطائر وهو يحاول الخروج، واعتراه الإعجاب ببستانه العامر، لكنه انتبه فجأةً أنه قائمٌ في الصلاة، فتابع صلاته، ولكنه نسي كم ركعةً صلى، فطأطأ رأسه خجلاً من ربه، وأنهى صلاته وذهب إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله، لقد أصابتني في مالي هذا فتنةٌ شغلتني عن صلاتي، فأُشهدكَ أنه صدقةٌ في سبيل الله، فضعه حيث تشاء!

يا ولدي!

النفسُ تأسى على الدنيا وقد علمَت أنَّ السلامة فيها تركُ ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخيرٍ طاب مسكنه وإن بناها بشرٍّ خاب بانيها!
يا ولدي!

صاد رجلٌ قُبَّرةً[١]، فقالت له: ماذا تريد أن تفعل بي؟

فقال: أريد أن أذبحكِ وآكلَكِ.

فقالت: إني صغيرةٌ لا أُسمن ولا أُغني من جوع، ولكني أعلِّمكَ ثلاث خصالٍ هي خيرٌ لك من أكلي.

أما الخصلة الأولى فأعلِّمك إياها وأنا في يدك، وأما الثانية فأعلمك إياها عندما أصير على الشجرة، وأما الثالثة فأعلمك إياها عندما أصير على الجبل.

قال: هاتي الأولى.

فقالت: الأولى هي: **لا تتلهف على ما فاتك.**

فخلاها وقال: هاتي الثانية.

فخاطبته من فوق الشجرة قائلةً: الثانية هي: **لا تصدِّق ما لا يمكن تصديقه.**

---

(١) قبرة: طائر صغير.

ثم طارت فوقفت فوق الجبل وقالت: يا غبيّ، لو ذبحتني لأخرجتَ من جوفي جوهرتين زنة كلٍّ منهما خمسة أرطال!

فعضَّ الصياد شفته ندمان أسفان وقال: هاتي الثالثة.

فقالت: **إذا كنت قد نسيتَ الاثنتين فكيف أعطيك الثالثة؟!** قلتُ لك: لا تتلهف على ما فاتك، وأنت ندمتَ لأنك تركتني. وقلتُ لك: لا تصدِّق ما لا يمكن تصديقه، وأنت صدَّقتَ أنَّ في جوفي جوهرتين زنة كلٍّ منهما خمسة أرطال، مع أنَّ وزني كلَّه بريشي ولحمي وعظمي لا يبلغ خمسة أرطال، فكيف يكون في جوفي ما هو أثقل من كامل وزني؟!

يا ولدي!

لا مالَ أعون من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا ظهيرَ كالمشاورة، ومن شاور الناس فقد قطف ثمار عقولهم.

يا ولدي!

الجنة دار الأسخياء، وإنَّ السخيَّ قريبٌ من اللهِ قريبٌ من الناس، قريبٌ من الجنة بعيدٌ عن النار، وإنَّ البخيلَ بعيدٌ عن الله بعيدٌ عن الناس، بعيدٌ عن الجنة قريبٌ من النار، وجاهلٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله من عابدٍ بخيل.

يروى أنه لما خلق الله جنة عدنٍ بيده، ودلّى فيها ثمارها وشقّ فيها أنهارها، نظر إليها وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، ثم قال: وعزّتي لا يجاورني فيك بخيل[١].

يا ولدي!

مشى الطاووسُ يوماً باختيالٍ ... فقلَّد شكلَ مشيتهِ بنوهُ
فقال: علامَ تختالونَ؟ قالوا: ... بدأتَ بهِ ونحنُ مقلِّدوهُ
فخالِف سَيرَكَ المعوجَّ واعدل ... فإن عدّلتَ نحنُ معدِّلوهُ
أما تدري أبانا، كلُّ فرعٍ ... يجاري بالخطى من أدَّبوهُ
وينشأُ ناشئُ الفتيانِ فينا ... على ما كان عوَّدهُ أبوهُ
وما دان الفتى بحجى ولكن ... يعلِّمه التديُّنَ أقربوهُ

يا ولدي!

من كساه الحياءُ ثوبَهُ، أخفى على الناس عيبَهُ، وبئسَ الزاد التعدِّي على العباد، والتلطُّف بالحيلةِ أنفع من الوسيلة، ومن ثقُل على صديقه خفَّ على عدوِّه، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما يعلمون وما لا يعلمون!

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وضعفه الألباني.

يا ولدي!

ورد في الأثر أنَّ الله تعالى أوصى عباده بكلماتٍ أنزلهنَّ في صحف موسى قال فيهنّ:

يا ابن آدم، إن رضيتَ بما قسمتُ لكَ أرحتُ قلبكَ وبدنكَ وأنت عندي محمود، وإن لم ترضَ بما قسمتُ لك سلَّطتُ عليك الدنيا تركض فيها ركضَ الوحوش في البرِّية، وعزَّتي وجلالي لا تنال منها إلا ما قُدِّر لك فيها، وأنت عندي مذموم!

يا ابن آدم، كلٌّ يريدُك له، وأنا أريدك لي، وأنت تفرُّ مني!

يا ابن آدم، ما أنصفتني! خلقتُكَ من ترابٍ ثم من نطفةٍ ولم يُعيِني خلقُك، أفيُعييني رغيفٌ أسوقه لك كلَّ حين؟!

يا ابن آدم، إني ـ وحقِّكَ عليَّ ـ لك محب، فبحقي عليك كن لي محباً.

يا ابن آدم، خلقتُكَ من أجلي، وخلقتُ الأشياء من أجلك، فلا تهتك ما خلقتُ من أجلي في ما خلقتُ من أجلك.

يا ابن آدم، لي عليك فريضةٌ، ولك عليَّ رزقٌ، إن خُنتَني في فريضتي لم أخُنكَ في رزقكَ على ما كان منك.

يا ابن آدم، لا تخافنَّ من ذي سلطانٍ مادام سلطاني باقياً، وسلطاني باقٍ لا يزول أبداً.

يا ابن آدم، لا تخافنَّ فَوتَ الرزق مادامت خزائني مملوءةً، وخزائني مملوءةٌ لا تنفدُ أبداً.

يا ابن آدم، لا تأمن مكري حتى تجوز على الصراط المستقيم.

يا ولدي!

إذا سمَّيتَ ولدكَ (محمداً) فأكرِمه إكراماً لسيِّدنا محمدٍ ﷺ، وأوسِع له في المجلس، ولا تقل له: قبَّح الله وجهك، فإن لم تسمِّهِ محمداً فاجهد أن تختار له اسماً جميلاً، لأنَّ لكلِّ مسمَّى من اسمه نصيباً، واختر له نسباً صالحاً فإنَّ العِرقَ دسَّاس، وأحسِن نشأته وتعليمه، وعلِّمه السباحة والرماية وركوب الخيل.

يا ولدي!

جالس أهلَ العلم، فإنهم إن جهلتَ علَّموك، وإن زلَلتَ قوَّموك، وإن أخطأتَ لم يُفنِّدوك، وإن جالَستَهم زانوك، وإن غِبتَ عنهم تفقَّدوك.

ولا تُجالس أهلَ الجهلِ، فإنهم إن جهلتَ عنَّفوك، وإن

زلَلتَ لم يُقوِّموك، وإن أخطأتَ لم يعلِّموك، وإن جالستَهم شانوك[١].

والجليس الصالح (كأهل العلم مثلاً)، يشبه حامل المسك، إما أن يُهديك وإما أن يبيعك وإما أن تشمَّ منه رائحةً طيبة.

والجليس السيئ، (كأهل الجهل مثلاً)، يشبه نافخ الكير، إما أن يُحرقَك بناره، وإما أن يُصيبَك بشراره، وإما أن تشمَّ منه رائحةً خبيثة.

يا ولدي!

حفَّت الجنَّةُ بالمكاره، وحفَّت النار بالشهوات، ألا وإنَّ الله تعالى أوحى إلى داوود عليه السلام أن: يا داوود، حذِّر قومك من أكل الشهوات، فإنَّ القلوب المتعلِّقةَ بالشهواتِ محجوبةٌ عني.

يا ولدي!

اذكر شيئين، وانسَ شيئين.

اذكر: اللهَ والموت.

وانسَ: إحسانكَ إلى الناس، وإساءة الناس إليك.

---

(١) شانوك: عابوكَ وقلَّلوا من مكانتك وقدرك.

اذكر اللهَ ذِكرَ من يعرف أنَّ الله معه، وهو الناظر إليه، وهو الشاهد عليه، وهو الذي سيحكم عليه يوم القيامة! ومن تذكَّرَ أنَّ الله معه، ينظر إليه وسيشهد عليه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، فأنَّى له أن يفسقَ عن الصراط المستقيم؟!

واذكر الموتَ، فهو هادم اللذاتِ ومفرِّق الجماعات، وهو الكأس التي لا مفرَّ من شربها.

الموت بابٌ كلُّ الناس داخله يا ليتَ شِعريَ بعد البابِ ما الدارُ!

وانسَ إحسانك إلى الناس، واجعل شعارَكَ في الحياة: **إلهي أنتَ مقصودي ورضاكَ مطلوبي**، واعلم أنه ما كان لله فهو المتصل، وما كان لغير الله فهو المنقطع، ولقد قال الشاعر:

من يفعل الخيرَ لا يعدَم جوازيهُ لا يذهب العُرفُ بين اللهِ والناسِ

وانسَ إساءة الناس إليك، فالعاقل من كتم إهانة نفسه، وعفا عن الناس، وكَظَمَ الغيظَ، والله يحب المحسنين.

يا ولدي!

القلبُ بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلِّبه كيف يشاء؛ يُمسي الرجل مؤمناً ويُصبح كافراً، أو يُصبح مؤمناً ويُمسي كافراً، فقل: اللهم يا مثبِّت القلوبِ والأبصارِ ثبِّت قلوبنا على دينك.

يا ولدي!

اتَّقِ دعوةَ المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب، واللهُ تعالى نفى الظلمَ عن ذاته العليَّة بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُه بينكم محرَّماً، فلا تظالموا**»(١).

وكان أحد الصالحين يحب هذا الدعاء: اللهمّ أنصِفني وأنصِف مني، فإن لم يكن بدٌّ، فاجعلني عبدَكَ المظلومَ ولا تجعلني عبدَكَ الظالم، لأنَّ اللهَ تعالى نصير المظلومينَ وعدوُّ الظالمين.

ولما نزلت بالبرامكة النكبة الشديدة، وأصبحوا نزلاء السجون بعد أن كانوا سادةَ القصور والحصون، سأل أحد الأولاد أباه يحيى البرمكيَّ عن هذا الحال وسوء المآل، فقال الأب: يا ولدي، لعلَّها دعوة مظلومٍ سرت بلَيلٍ، نمنا عنها، واستقبلها بالإجابةِ العزيز الجليل.

يقول الشاعر:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مقتدراً فالظلم آخره يأتيك بالندم

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، ٨/ ١٦.

تنام عينك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تَنَمِ

يا ولدي!

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «اشتدَّ غضبي على من ظلمَ من لا يجد له ناصراً غيري»[1].

فاتَّقِ الله، واعفُ عمَّن استحلفكَ بالله إكراماً لوجه الله، واعلم أنَّ في العفو لذَّةً كبيرةً وحلاوةً عظيمةً، يسكبها الله تعالى في قلبك، وما أحسن ما قال الخليفة المأمون: لو عرف الناس ما نجد في العفو من اللذةِ لتقرَّبوا إلينا بالجنايات.

يا ولدي!

ما آمنَ بمحمدٍ ﷺ ساعةً من نهارٍ من بات شبعان وجارُهُ إلى جنبه جائعٌ وهو يعلم!

ولقد أوصى جبريل بالجار حتى ظنَّ النبيُّ ﷺ أنَّ اللهَ سيورِّثُ الجار من الجار لعِظَم حقه عليه.

ولن يكمُلَ إيمانُ المرءِ حتى يأمنَ جارُهُ بوائقَه.

يا ولدي!

من انقطع إلى الله كفاه الله كلَّ مؤونة، ومن انقطع إلى

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير»، ١/ ٦١، ضعيف.

الدنيا وَكَله الله إليها، ومن طلب منفعةً بمعصية الله كانت أبعدَ عنه مما يرجو، وأقربَ إليه مما يخاف، ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامدُهُ فيهم ذامًّاً، ومن أرضى الناسَ بسخط الله أوكل اللهُ أموره إليهم، ومن أرضى الناسَ بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن أرضى اللهَ بسخط الناس رضي الله عليه وأرضى عليه الناس، ومن أرضى اللهَ بسخط الناس كفاه الله شرَّ الناس، ومن أحسن ما بينَه وبين الله أحسن اللهُ ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح جوَّانيَّه أصلح الله برَّانيَّه، ومن عمل لآخرته كفاه الله همَّ دنياه وآخرته.

يا ولدي!

قال أمير المؤمنين الخليفة الراشد عليّ بن أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه: استغن عمَّن شئتَ تكن نظيره، واحتج إلى من شئتَ تكن أسيره، وأحسِن إلى من شئتَ تكن أميره.

يا ولدي!

ثلاثٌ منجياتٌ وثلاثٌ مُهلكات.

أما المنجياتُ فهي: خشية الله في السر وفي العلانية،

والاقتصاد في الفقر وفي الغنى، والعدل في الغضب وفي الرضا.

وأما المهلكات فهي: شحٌّ مُطاعٌ، وهوى متَّبَعٌ، وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه.

يا ولدي!

يقول الله ﷻ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤٠]، ويقول الشاعر:

سيحصد عبد الله ما كان زارعاً فطوبى لعبدٍ كان لله يزرعُ

ولقد ورد في الأثر أنَّ الأب يأتي إلى ابنه يوم القيامة فيقول له: أي بني، أيَّ أبٍ كنتُ لك في الدنيا؟ فيقول: خيرَ أبٍ! فيقول: أي بني، فإني في حاجةٍ إلى حسنةٍ من حسناتك! فيقول الولد: إليك عني، فإني محتاجٌ للذي أنت محتاجٌ إليه!

وتأتي الأم إلى ولدها فتقول له: أي بني، ألم يكن بطني لك وعاءً، وصدري لك سقاءً؟! فيقول: بلى والله. فتقول: فأعطني حسنةً من حسناتك. فيقول: إليك عني، فإني محتاجٌ للذي تطلبينه يا أماه!

صدق الله تعالى إذ وصف يوم القيامة بقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ

مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

يا ولدي!

يقول أحد الحكماء: لقد وجدتُ في التاريخ مدناً بلا قصورٍ ولا مصانع ولا حصون، ولكني لم أجد مدناً بلا معابد! ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

يا ولدي!

يحكى أن قوماً أتوا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه واشتكوا إليه إمام مسجدهم! فقالوا: هذا الإمام يغنِّي في المسجد بعد أن يفرغ من الصلاة!

قال عمر للمشتكين: قوموا بنا إليه.

فلما أتوا المسجد قال عمر للإمام: بلغني عنك أمرٌ ساءني.

قال الإمام: وما هو يا أمير المؤمنين؟

فقال عمر: أتتمجَّنُ في عبادتك؟ أتُغنِّي بعد الصلاة؟!

قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكنها عظةٌ أعظُ نفسي بها.

قال عمر: قُلها، فإن كانت كلاماً حسناً قُلناه معك، وإن كانت كلاماً قبيحاً نهيتُك عنه.

فقال الإمام: إني بعد أن أفرغ من صلاتي أذكر الله تعالى وأستغفره وأدعوه، ثم أغمض عينيَّ وأقول:

وفؤادي كلما عاتبتُهُ زادَ في اللذاتِ يبغي تعبي
لا أراه الدهرَ إلا لاهياً في تماديه، فقد برَّح بي
يا قرينَ السوءِ ما هذا الصبا فنيَ العمرُ كذا في اللعبِ
ويحَ نفسي لا أراها أبداً في جميلٍ لا، ولا في أدبِ
نفسي، لا كنتِ ولا كان الهوى اتقي الله وخافي وارهبي

عندما أنهى الإمام قصيدته نظر إلى أمير المؤمنين عمر، فإذا هو يبكي ويردد:

نفسي، لا كنتِ ولا كان الهوى اتقي الله وخافي وارهبي

ثم التفت عمر إلى من معه وقال: **من كان منكم مغنِّياً فليغنِّ هكذا.**

يا ولدي!

يقول النبي ﷺ: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته»[1].

---

(١) رواه النسائي، وصححه الألباني.

فإياك أن تحوِّل القرآن الكريم إلى ألحانٍ للطرب، أو لوحاتٍ لتزيين الجدران، وتغفلَ عن العمل بها والالتزام بما جاء فيها، واسمع معي قول الشاعر:

ما أُنزلَ القرآنُ كي يُتلى على ... قبرٍ تمدَّد فيه مَيتٌ لا يعي
ما أُنزلَ القرآنُ كيما تُقتنى ... منه التمائمُ في صدور الرُّضَّعِ
ما أُنزل القرآن إلا شِرعةً ... تهدي الأنام إلى النعيم الممرعِ
هذي القشور فلا تقيموا حجَّةً ... منها على إسلامنا للمدعي

ولقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُق النبي عليه الصلاة والسلام فقالت: **كان خُلُقَهُ القرآنُ**، أي إنَّ غضبَه ورضاه، قولَه وفعلَه، أخذَهُ وعطاءَه، وصلَهُ وهَجرَه، كان كلَه مقيَّداً بالقرآن الكريم، وبما جاء فيه من أوامر ونواه.

يا ولدي!

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (رُبَّ تالٍ للقرآنِ والقرآنُ يلعنه)[1]!

ولك أن تسأل: كيف يلعن القرآنُ من يتلوه؟

وأقول: عندما يقرأ قولَ الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى

(١) «إحياء علوم الدين»، الإمام الغزالي، ٢/ ٣٢.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ويكون هو من الظالمين، وعندما يقرأ قوله تعالى: ﴿لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، ويكون هو من الكاذبين أو المنافقين، ألا يلعن نفسه بلسانه من خلال آيات الكتاب الكريم؟!

يا ولدي!

حُفَّت الجنةُ بالمكاره، وحفَّت النارُ بالشهوات.

جاء في حديث رسول الله ﷺ، أنَّ الله تعالى لمَّا خلق الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة وقال له: «انظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها. فنظر إليها جبريل وعاد إلى ربه فقال: وعزَّتك لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها»!

فأمر اللهُ بها فحُفَّت بالمكاره، ثم قال لجبريل: ارجع فانظر إليها، فلما رأى المكارهَ التي حُفَّت بها قال: وعزتك يا ربِّ لقد خفتُ أن لا يدخلها أحد!

ثم قال تعالى لجبريل: اذهب إلى النار وانظر لما أعددتُه لأهلها فيها. فنظر إليها فاستعاذ بالله منها وقال: وعزّتك لا يسمع بها أحدٌ فيدخل فيها.

فأمر الله تعالى بها فحفَّت بالشهوات، ثم قال لجبريل:

ارجع فانظر إليها، فرجع، فلما رأى الشهوات التي حفت بها قال: وعزتك يا رب لقد خشيتُ أن لا ينجو منها أحد[١]!

يا ولدي!

إذا المرءُ لم يلبس ثياباً من التقى تقلَّب عرياناً ولو كان كاسيا

وخيرُ لباسِ المرء طاعةُ ربه ولا خير في من كان لله عاصيا

يا ولدي!

إياك والحسد، فإنَّ الحاسد يقع في خمس عقوباتٍ:

- يصيبه غمٌّ لا ينقطع.
- ويشعر أنه واقعٌ في مصيبةٍ ولكنه لا يؤجر عليها.
- وتلوكه ألسنة الناس بالمذمَّة.
- ويسخط عليه الله ﷻ.
- ويُغلَقُ في وجهه باب التوفيق.

ولقد قال الشاعر:

كل العداوات قد تُرجى إزالتها إلا عداوةَ من عاداكَ من حسدِ

يا ولدي!

إني لآمنُ من عدوٍ عاقلٍ وأخاف خِلاً يعتريه جنونُ

---

(١) الحديث رواه الترمذي، وصححه الألباني.

فالعقلُ فنٌّ واحدٌ وطريقَهُ أدري فأرصدُ، والجنون فنونُ

يا ولدي!

ليس اليتيم مَن انتهى أبواه من همِّ الحياةِ وخلَّفاه ذليلا

إنَّ اليتيم هو الذي تلقى له أماً تخلَّت أو أباً مشغولا

يا ولدي!

الصلاةُ ركنٌ ركينٌ من أركان الإسلام، فلا تضيِّعه ولا تتهاون به!

الصلاةُ عمادُ الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، وهي أولُ ما يُسألُ عنه العبدُ يوم القيامة، فإن صلُحت صلح أمره، وإن فسدت فسد أمره، ولقد أمر الله تعالى أنبياءه بالصلاة، فتقرَّبوا إليه بها، فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ونطق المسيح عليه السلام في مهده فقال: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، ومدح الله تعالى إسماعيلَ عليه السلام بقوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥]، وأمر الله تعالى موسى عليه السلام بالصلاة فقال له: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤]، كما أمر تعالى نبيه محمداً ﷺ بالصلاة بقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ

عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «**بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»(١). وذكر النبي ﷺ الصلاة يوماً فقال: «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ، وكان يوم القيامة مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأبيِّ بنِ خَلَف!**»(٢).

فالصلاةَ الصلاةَ، فإنها معراجك إلى رحاب خالق السموات والأرض.

يا ولدي!

إذا سجدتَ في الصلاة فاعلم أنك تسجد على قدمَي الرحمن، وأنك أقرب ما تكون إليه، فاذرف الدمعةَ وأطل الدعاء وأكثر من الطلب واسأل الرحمن ما تشاء.

يا ولدي!

إذا صلَّيتَ فاعلم أنك تقف بين يدي الرحمن الرحيم، جبارِ السموات والأرض، فأتقِن صلاتك، فإنَّ الرجل إذا تهاون في وقت الصلاة، ولم يُسبغ الوضوء، ولم يُتمَّ الركوع

---

(١) رواه أبو داود في «السنن»، ٤/ ٣٥٣، صحيح.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه»، ٤/ ٣٢٩، صحيح.

والسجود، خرجت صلاتُه سوداءَ مظلمةً وهي تقول: ضيَّعك الله كما ضيَّعتني، ثم لُفَّت كما يُلفُّ الثوبُ الخَلِقُ البالي، فضُرِبَ بها وجهه! واسمع مني هذه القصة:

يحكى أنَّ تاجراً كان يبيع الأكياس، وكان عنده أجيرٌ تقيٌّ.

قال التاجر لأجيره يوماً: هناك أكياسٌ بعناها ولم نقبض ثمنها ولا أتذكَّر لمن بعناها، فهل تتذكر أنت؟ فقال الأجيرُ: لا.

ولما حان وقت الصلاة، صلَّى التاجر والأجير، وأثناء الصلاة تذكَّر التاجر لمن باع الأكياس، فقال لأجيره بعد الصلاة: لقد أعطينا الأكياس لفلان، فاذهب إليه وائتِ بثمنها. فقال الأجير: يا سيدي، هل كنتَ تصلي لرب الناس، أم كنتَ تبحث عن الأكياس؟!

يا ولدي!

يروى أن الله تعالى قال في الحديث القدسي: «ليس كلُّ مصلٍّ يصلِّي، إنما أتقبَّل الصلاةَ ممن تواضع لعظمتي، وكفَّ شهواته عن محارمي، ولم يصرَّ على معصيتي، وأطعمَ الجائعَ، وكسا العريانَ، وآوى الغريبَ، يفعلُ كلَّ ذلك لأجلي، وعزَّتي وجلالي، إنَّ نورَ وجهه لأضوءُ عندي من نور الشمس، على

أن أجعل الجهالة له حِلماً، والظلمةَ نوراً، يدعوني فألبِّيه، ويسألني فأعطيه، ويُقسم عليَّ فأبرَّه، أكلؤهُ بقربي، وأستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس، لا يتسنّى ثمرها ولا يتغير حالها»[(١)].

يا ولدي!

الصلاةُ صلة الوصل بين العباد وربهم، ولقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال رسول الله ﷺ: «من لم تنهَه صلاتُه عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بُعداً»[(٢)]، ولذلك أقول: رُبَّ مصلٍّ ليس له من صلاته إلا الركوع والسجود، وربَّ مصلٍّ ضُربت صلاتُه في وجهه كما يُضرب الثوبُ المهلهلُ بالجدار!

ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥]؟! إن كان الويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، فما بالك بمن ضيَّع الصلاة أو

---

(١) رواه الديلمي في «الفردوس» عن حارثة بن وهب. وفي «كنز العمال»، ٧/ ٥٣٠. ضعيف.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، ٣/ ١٧٤، ضعفه الألباني.

جحدها وأنكرها، وكان فوق ذلك من ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون: ٦ ـ ٧].

أتدري يا ولدي ما هو (الويل)؟!

جاء في بعض تفاسير العلماء أنه وادٍ في جهنم تستغيث جهنمُ نفسُها من حَرِّه!

أعاذنا الله منه، وحمانا من أن نكون من سكانه أو زواره.

يا ولدي!

ذُكرَ أمام النبي ﷺ اسمُ امرأةٍ، فذكروا كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، ولكنهم قالوا: إنها كانت تؤذي جيرانها بلسانها. فقال ﷺ: هي في النار[1]!

من لم تمنعه صلاتُه عن ارتكاب الموبقات، ولم ترتقِ به إلى أعلى الدرجات، خاصةً في مجال المعاملات، فليعلم أنه لم يصلِّ، ولا معنى لركوعه وسجوده إذا لم تقع في قلبه الخشيةُ الكاملةُ من الربِّ المعبود.

يا ولدي!

لكَ في الصالحين أسوةٌ حسنة.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني.

سُئلَ أحد الصالحين: ماذا تفعل لتخشع في صلاتكَ هذا الخشوع؟ فقال: إني إذا حان وقت الصلاة أسبغتُ الوضوء، ثم جلستُ أذكر الله حتى أشعر أنَّ قلبي قد اشتعل، وعندما أقوم إلى الصلاة أتخيَّل الكعبةَ أمامي، والصراطَ تحتي، والجنةَ عن يميني، والنارَ عن شمالي، وملكَ الموتِ ورائي، وأظنُّ أن تكون هذه الصلاة آخرَ ما أصلي في حياتي، فأُتقِنُها وكأني لن أُصليَ بعدها أبداً!

يا ولدي!

أكثِر من الصلاةِ في الليل.

قالت أمُّ سليمان بن داودَ عليه السلام تنصح ابنَها النبيَّ سليمان: **يا بنيَّ لا تُكثر النومَ بالليل، فإنَّ كثرةَ النوم بالليل تدَعُكَ فقيراً يوم القيامة**، وإنَّ الله خلق ريحاً تهبُّ بالأسحار، فتحمل الأذكارَ والاستغفارَ إلى العزيزِ الجبار، ومِن أحسنِ الناسِ رجلٌ أفشى السلام، وأطعَمَ الطعام، وصلى بالليل والناس نيام.

ولقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه إذا مضى شطر الليل يَنْزل الله تعالى إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر.

فقم يا ولدي، ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٢ ـ ٤].

يا ولدي!

إذا أحدَثتَ فتوضَّأ، وإذا توضَّأتَ فصلِّ، وإذا صلَّيتَ فادعُ الله تعالى، فقد جاء في بعض الآثار أنَّ الله تعالى يقول: من أحدَثَ ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن توضأ ولم يصلِّ فقد جفاني، ومن صلى ولم يدعُني فقد جفاني، ومن دعاني ولم أُجِبهُ فقد جفوتُهُ، ولستُ بربٍّ جافٍ، ولستُ بربٍ جافٍ، ولستُ بربٍ جاف.

يا ولدي!

لا تحقرنَّ صغيراً عند رؤيته إنَّ البعوضةَ تُدمي مقلةَ الأسدِ
ما للشرارةِ شأنٌ حين تنظرُها ولربما أضرمت ناراً على بلدِ

يا ولدي!

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٢]، **فلا تقرب الزنى**، ولا تقرَب مقدماتِه كالنظرة الحرامِ والخلوةِ الحرام، فالنظرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، تخترق القلبَ بلا استئذان، ويبدأ بعدها المسلسلُ المعروف:

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

وما خلا رجلٌ بامرأةٍ إلا كان الشيطانُ ثالثَهما، وإنَّ هذه المقدِّماتِ تقود إلى تلك النتائج، ولقد صدق الشاعر حيث قال:

كلُّ الحوادثِ مبداها من النظرِ ومعظمُ النارِ من مُستصغَرِ الشرَرِ

واعلم أنَّ الزنى دَينٌ ستقوم بوفائه من عِرضكَ شئتَ أم أبَيتَ، فمن يزنِ يُزنَ به ولو بجدار بيته!

ورحم الله الإمام الشافعيَّ حيث قال:

من يَزنِ يُزنَ به ولو بجدارهِ إن كنتَ يا هذا لبيباً فافهمِ
لو كنتَ حراً من سلالةِ طاهرٍ ما كنتَ هتَّاكاً لحرمةِ مسلمِ

يا ولدي!

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقل: خلوتُ ولكن قُل: عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللهَ يغفل لمحةً ولا أنَّ ما تُخفي عليه يغيبُ

ولقد زيَّن الشيطانُ يوماً لأحدهم الخلوة بامرأةٍ لا تحلُّ له، فلما صار في دارها سألها: هل يرانا أحدٌ؟ فقالت: لا، إلا الله تعالى! فبكى وقال: واللهِ لا أجعلُ ربي أهوَنَ الناظِرين.

وقال رجلٌ آخر لامرأةٍ: هل يرانا أحدٌ؟ فقالت: أبداً، إلا هذه الكواكب! فاهتزَّ ضميره وقال: ترانا هي ويرانا مُكَوكِبُها! فعفَّ وكفَّ عمَّا كان يريد أن يفعل!

أجل يا ولدي، يراهما الله الذي يرى النملةَ السوداءَ، في الليلةِ الظلماءِ، على الصخرةِ الصماء!

ﷻ، لا تدركه الأبصارُ وهو يُدرك الأبصارَ وهو على كل شيءٍ قدير.

يا ولدي!

أرادت امرأةٌ جميلةٌ أن تفتنَ رجلاً صالحاً، فزعمت أنها تريد أن تستفتيه في أمرٍ تستحي أن تذكره أمام الناس، فانتحى بها جانباً ليسمع سؤالها، فكشفت له عن وجهها الجميل وقالت له: إني قد فُتنتُ بك، وأريد منك ما تريد النساء من الرجال!

فقال لها: سأسألك أسئلةً، فإن صدقتِ في إجاباتكِ فكَّرتُ فيما تطلبين.

قالت: سلني وسأصدقك.

فقال: أخبريني، لو أنَّ ملك الموت أتى ليقبض روحك، أكان يسرُّك أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟

قالت: لا.

فقال: فلو أُعطيَ الناسُ كتُبهم يوم القيامة، وأنت لا تدرين أتأخذين كتابكِ بيمينكِ أم بشمالك، أيسرُّكِ أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟

قالت: لا.

قال: فلو جيء بميزانك يوم القيامة وأنت لا تدرين أيخفُّ أم يثقل، أيسرُّك أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟

قالت: لا.

قال: فلو وقفتِ للحساب بين يدي رب العالمين، أيسرك لو أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: لا.

فقال لها: إذن، اتقي اللهَ الذي أنعم عليكِ ورزقكِ الجمال والعافية!

يا ولدي!

كي تستطيع أن تعصم نفسك من الزنى يجب أن تتزوج.

فتزوج، فإنَّ الزواج راحةٌ للبال، وسكنٌ للفؤاد، وغبطةٌ للقلب، وعصمةٌ للدين، ومصدرٌ للبركة، وبابٌ للسعادة والفرح والرزق والعطاء، وقبل ذلك هو تنفيذٌ لأمر النبي المصطفى ﷺ حيث قال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة**»[1]

---

(١) الباءة: مستلزمات الزواج.

فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء[١]»[٢].

فإذا تزوجتَ فاسكن إلى زوجتك، وأخلص لها الحب والرعاية، وأكرِمها، فما أكرمَ النساءَ إلا كريمٌ، وما أهانهنَّ إلا لئيمٌ، وإياك والحديثَ عن الزواج بامرأةٍ أخرى، لا جادَّاً ولا هازلاً، فما من حديثٍ أو تصرُّفٍ أبغضَ إلى قلوب النساء من هذا الحديث، ولئن كان الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى، فإنَّ الحديث عن الزواج بامرأةٍ أخرى هو أبغض الأحاديث إلى قلوب النساء.

يا ولدي!

إياك أن تظنَّ أنَّ الزواج بامرأةٍ أخرى يجلبُ لك السعادةَ والفرح والهناء، إن هو إلا كالدواء للمريض، فهل رأيتَ مريضاً عاقلاً يأخذ الدواء إلا عند الحاجة؟!

كان أحد العقلاء يقول: تعدُّدُ الزوجاتِ يشبه الدخول إلى المرحاض، والدخول إلى المرحاض ليس للتنزُّه والتسلية

---

(١) وجاء: حماية ووقاية.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه».

وقضاء الوقت الجميل، لكنه للحاجة والضرورةِ ورفعِ الأذى عن النفس!

ويحكى أنَّ أحد الشعراء تزوج اثنتين، فلما عاش بينهما فترةً من الزمان وصف عيشته تلك بقوله:

تزوجتُ اثنتينِ لفرط جهلي ... وقد حاز البَلا زوج اثنتينِ
فقلتُ: أعيشُ بينهما خروفاً ... أنعَّم بين أكرم نعجتينِ
فجاء الحالُ عكسَ الحال دوماً: ... صراعٌ دائمٌ ببليتينِ
لهذي ليلةٌ ولتلك أخرى ... نقارٌ مزعجٌ في الليلتينِ
رضا هذي يحرِّك سخطَ هذي ... فلا أخلو من إحدى السخطتينِ
إذا ما شئتَ أن تحيا سعيداً ... من الخيراتِ مملوءَ اليدينِ
فعش عزباً، وإن لم تستطعه ... فواحدةٌ تكفي عسكرينِ!!

يا ولدي!

إنَّ التزوُّجَ بالنساء لأربعٍ: ... حسبٌ ومالٌ أو جمالٌ رائعُ
هذي الثلاثةُ ليس تكفي وحدها ... إن لم يزيِّنها العظيم الرابعُ
دينٌ يهذِّب كل ما في نفسها ... لولا التديُّن كل شيءٍ ضائع!
إنَّ الجمالَ بدون دينٍ فتنةٌ ... وغوايةٌ تغري وسهمٌ صارعُ
والمال قُربَى من شَرار جهنمٍ ... والجاه للظلم المؤكد دافعُ

إلا إذا ضبط التديُّن خطوَها فإذن فقد صُنعت، ونِعمَ الصانعُ!

يا ولدي!

إذا أرغمتك ظروف الحياة على تأخير زواجك، فاعلم أنَّ ما تشعر به من ميولٍ وعواطف ورغبات، شعر به جميع الرجال قبلك: الصالحون منهم والطالحون، فأما الطالحون فانزلقوا في مهاوي الفتنة والحرام، وأما الصالحون فاستعانوا على ما وجدوا بالصوم والصلاة وكثرة العبادة، فعليك بالصوم والرياضة وملء الفراغ وكثرة ذكر الله، وعليك بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين.

يا ولدي!

إذا أغناك الله من فضله وأعطاك مالاً، فتذكَّر قول الشاعر:

جمعتَ مالاً ففكِّر: هل جمعتَ له يا جامع المال أياماً تُفرِّقُهُ

المال عندكَ مخزونٌ لوارثهِ ما المالُ مالَكَ إلا حينَ تنفقُهُ

واعلم أنَّ في مالك حقاً للفقراء والمساكين، فأعطهم حقوقهم يعطك الله من واسع فضله، ولا تبخل عليهم فإنَّ الله كريمٌ يحب الكريم، واحذر أن ينطبق عليك قولُ القائل:

يا جامعَ المالِ لكَ أيامٌ معدوده

تجمعُ المالَ للورثةِ ولحمُكَ للدوده!

سأل النبي ﷺ أصحابه يوماً: «**أيّكم مالُ وارثه أحبُّ إليه من ماله؟**» قالوا: يا رسول الله ما منا من أحدٍ إلا ماله أحبّ إليه من مال وارثه. فقال: «**اعلموا أنه ليس منكم من أحدٍ إلا مالُ وارثه أحبُّ إليه من ماله! مالُك ما قدَّمتَ، ومالُ وارثك ما أخّرت**»(١).

أي إنَّ مالَك هو ما تنفق منه في سبيل الله حال حياتك، أما المال الذي تبخل به، فهو مال ورثتك، وهم الذين يقتسمونه من بعدك.

يا ولدي!

تعلَّم من الأطفال، فالحكمة ضالَّة المؤمن، أينما وجدها التقطها.

يتميز الأطفال بسبع خصال:

١ ـ لا يغتمُّون للرزق، فلا تغتمَّ له مادام الرزَّاقُ موجوداً.

٢ ـ إذا مرضوا لم يضجروا من قضاء الله، فلا تضجر من قضائه مهما أصابك البلاء، فإنك لا تدري من أين ومتى يأتيك الله تعالى بالخير والأجر والفَرَج.

٣ ـ لا يعرف الحقد إلى قلوبهم سبيلاً، فطهِّر قلبك من

---

(١) رواه النسائي في «سننه»، وصححه الألباني.

الحقد والغلِّ والبغضاء، ونم باسماً واستيقظ باسماً، وافتح في كلِّ يومٍ صفحةً جديدةً بيضاء.

٤ ـ يسارعون للصلح، فامدُد يدك بالصلح لمن آذاك أو جافاك، فالله تعالى يقول: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، والنبي ﷺ يقول عن المتخاصمَين: «**وخيرهما الذي يبدأ صاحبَه بالسلام**»(١).

٥ ـ يأكلون مجتمعين، والأكل مع الجماعة يزيد المحبة والإلفة، ويكسر كثيراً من الحواجز التي تعيق التقارب بين الناس.

٦ ـ يخافون من عقاب القوي، فكن مثلهم، وخَف من عقاب الله، فهو القويُّ الذي يجب أن لا يفارق خوفُه قلبك.

٧ ـ عيونهم تدمع، والعين السخيَّة بالبكاء عينٌ حيَّة، أما العين الجافَّةُ الجامدةُ المتحجرة، فهي عينٌ قاسيةٌ كالحجارة، بل أشد قسوة، وإنَّ من الحجارة لما يتفجَّر منه الأنهار، ومنها ما يتفتّت من خشية الله!

يا ولدي!

لكل امرئٍ في مالهِ شريكان: الوارث والحوادث، فإن

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني.

كنتَ ذا مالٍ مجموعٍ فطبِّق عليه قول النبي ﷺ: «**نعمَ المالُ الصالح للرجل الصالح**»[١]؛ **لأنه يعينه على طاعة الله.**

الزكاة حقٌ للفقراء في أموال الأغنياء، لكنها ليست الحقَّ الوحيدَ لهم، بل هناك حقٌ معلومٌ للسائل والمحروم، منه حق الصدقة والبر والإحسان وإغاثة الملهوف وقضاء الحاجات وكفالة اليتيم وكفالة طالب العلم والسعيُ على الأرملة والمسكين والغارم الغارقِ بالديون، فإذا أخرجتَ هذا الحقَّ كنتَ كعثمان بنِ عفَّان، وإن لم تخرجه كنتَ كثعلبةَ الذي أغناه الله تعالى من فضله، فامتنع عن أداء الزكاة وقال: إن هي إلا أخت الجزية!

يصف الشاعر هذين الرجلين، عثمانَ وثعلبةَ بقوله:

عثمان بالمال اشترى فردوسَهُ ودعا النبيُّ الصادقُ المأمونُ:
رباهُ عن عثمانَ ارضَ فإنني راضٍ عليه وشاكرٌ ممنونُ
لكنَّ ثعلبةَ الشقيَّ بمالِه لعق الشقاءَ وطار منه الدينُ
فارتدَّ عن ركن الزكاةِ وبئسما فعل الشقيُ الخاسرُ المغبونُ!

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك»، ٢/ ٣. وأحمد في «مسنده»، ٢٩/ ٣٣٨. وصححه الألباني.

يا ولدي!

إنَّ الدنيا تنطق بدون لسان، فتُخبرُ عمَّا قد يكون بما قد كان!

فاقرأ التاريخ:

اقرأ التاريخَ إذ فيه العِبَر ضاع قومٌ ليس يدرون الخبر!

يا ولدي!

اسمع قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١]؟!

أين الأوَّلون والآخرون؟!

أين الأمم الماضية، والقرون الخالية؟

أين الملوك الذين نُصبت على مفارقهم التيجان، وقهروا الأبطال والشجعان، ودانت لهم المشارق والمغارب، وتمتعوا بالمطاعم والمشارب؟!

أين الذين تاهوا على الخلائق كبراً وعتيًّا، وراحوا بالحلل الفاخرة بكرةً وعَشيًّا؟

أين أصحاب الوزراء والقوَّاد، المغترِّين بالأموال والأجناد، المُنتَشين بالإمرةِ والسلطان، والسطوةِ والأعوان؟

أين أصحاب الأعمال والولايات، الذين خفقت على

رؤوسهم الألوية والرايات، الذين قادوا الجيوش والعساكر، وأنشؤوا القصور والعمائر، وأُعطوا النصر في مواطن الحروب والمواقف، وأمَّنوا بسلطتهم كلَّ خائف، وملؤوا ما بين الخافقين فخراً وعزاً، وفرشوا القصور حريراً وقزّاً، وتضعضعت تحتهم الأرض هيبةً وعزاً، هل تحسُّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً؟!

أفناهم الله مفني الأمم، وأبادهم مبيد الرّمم، وأخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور، تحت الجنادل والصخور، فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم، لم ينفعهم ما جمعوا، ولم يُغنِ عنهم ما كسبوا، إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل صالح مستقيم.

أسلمهم الأحبَّاء والأولياء، وهجرهم الإخوان والأصفياء، ونسيهم البُعَداء والأقرباء، ولو أُنطِقوا لأَنشدوا ولقال قائلهم:

مقيمٌ في القبور رهينَ رمسي وأهلي راحلون بكلِّ وادي
كأني لم أكن لهمُ حبيباً ولا كانوا الأحبَّةَ في السَّوادِ
فعوجوا بالسلام، فإن أَبَيتُم فأَوموا بالسلام على البِعاد

يا ولدي!

أمعنِ النظرَ في سيرة الذين طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب، إنَّ ربَّك لبالمرصاد.

إنَّ الله يمهل ولا يهمل، وإذا أخذ لا يُفلِت، لأنَّ أخذَه أخذُ عزيزٍ مقتدر.

يا ولدي!

أمطِ اللثام عن بصيرتك، وانظر بعين قلبك، وكن واثقاً كلَّ الثقة أنَّ الدين عند الله الإسلام، وأنَّ نور الله باقٍ ولو كره الكافرون.

شريعة الله للإصلاح عنوانُ وكلُّ شيءٍ سوى الإسلام خُسرانُ
لا حمورابي ولا خوفو يعيد لنا مجداً بناه لنا بالعز قرآنُ
تاريخنا من رسول الله مبدؤه وما عداه فلا عزٌّ ولا شانُ
محمدٌ أنقذ الدنيا بدعوته ومن هداه لنا روحٌ وريحانُ
لولاه ظلَّ أبو جهلٍ يضللنا وتستبيح الدما عبسٌ وذبيانُ
نبني الحياة بوحيٍ من عقيدتنا وعندنا للهدى والحق ميزانُ
قرآننا مشعلٌ يهدي إلى سُبُلٍ من حاد عن نهجها لا شكَّ خسرانُ
هو السعادة فلنأخذ بشرعتها مادام ينبض في الأجساد شريانُ
هو السلام الذي تهفو القلوب له فلم يعد يقتل الإنسانَ إنسانُ

هو النشيد الذي دوماً نردده:

شريعة الله للإصلاح عنوانُ وكلُّ شيءٍ سوى الإسلام خُسرانُ

يا ولدي!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

جمع رجلٌ أولاده قبل موته وقال لهم: عندما كنتُ صغيراً كنت أتمنى أن أغيِّر العالم وأخلِّصه من مساوئه، وعندما صرت شاباً عرفتُ أني لا أستطيع تغييرَ العالم، فقررتُ أن أغيِّر بلدي وأخلصه من مساوئه، وعندما أصبحتُ كهلاً أدركتُ أني لن أستطيع تغيير بلدي، فقلتُ: إذن أغيِّر أولادي وأخلصهم من مساوئهم، والآن وأنا على فراش الموت أكتشف أني عجزتُ عن تغيير شيءٍ لأني لم أغيِّر نفسي وأخلصها من مساوئها، ولو أني بدأتُ بها لربما استطعتُ تغييرَ كلِّ شيء!

يا ولدي!

ثلاثةٌ لا تُعرَف إلا عند ثلاثة:

لا يُعرَف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه.

أما الحليم، فمَثَلُه كمَثَلِ معن بن زائدة حين وجَّه إليه أحد خصومه أعرابياً ليُغضِبه، ووعده بمكافأةٍ سخيَّةٍ إن استطاع ذلك، فدخل عليه الأعرابي بجفوةٍ وهو يجلس على كرسيِّه الفاخر وقال له:

أتذكُرُ إذ لحافُكَ جِلدُ شاةٍ وإذ نعلاك من جلدِ البعيرِ؟!

فقال معن: نعم، أذكر ذلك ولا أنساه.

فقال الأعرابي:

فسبحان الذي سوَّاكَ مَلكاً وعلَّمك الجلوسَ على السريرِ

قال معن: ﷻ.

فقال الأعرابي:

سأرحل عن بلادٍ أنت فيها ولو جار الزمان على الفقيرِ

فقال معن: إن أقمتَ فينا فأهلاً وسهلاً، وإن رحلتَ عنا فبسلامة الله.

قال الأعرابي:

فمُر لي يا ابنَ ناقصةٍ بمالٍ فإني قد عزمتُ على المسيرِ

فأمر له معنٌ بشيءٍ من المال، فقال الأعرابي:

قليلٌ ما أمرتَ به وإني لأطمع منك بالمال الكثيرِ

فأمر له معن بمزيدٍ من المال، فيئس الأعرابي من إغضابه فقال:

سألتُ اللهَ أن يُبقيكَ ذخراً فما لكَ في البرَّيةِ من نظيرِ

فقال معن لغلامه: أعطيناه على هجوِنا، وسنعطيه على مدحنا، وأمر له بمالٍ وخِلَعٍ وهدايا.

وأما الشجاع، فيعجبني قول الشاعر:

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعنَ وحده والنِّزالا

فلا تكن ذلك الجبان، واعلم أنَّ الرجال تتميز عن بعضها البعض عند لقائها بأمثالها من الرجال، ولقد قال القائل: إنَّ الحديدَ بالحديد يُفلحُ.

وأما الأخ، فليس كلُّ من كان سميرَك وأنيسَك وصاحبَك إذ الحال ميسورٌ والخير كثيرٌ والرزق وفيرٌ بأخ، لكنَّ الأخ هو ذلك الذي عندما تضيق بك الأحوال وتقلُّ الأموال وتنوب النوائب وتحلّ المصائب، يجعل جسده ترسانةً تحميك وتدفع عنك الضيم والفاقة.

يا ولدي!

إني ذقتُ الطيِّباتِ كلَّها، فلم أجد أطيبَ من العافية، وذقتُ المراراتِ كلها، فلم أجد أمرَّ من الحاجة إلى الناس، ونقلتُ الحديدَ والصخر، فلم أجد أثقلَ من الدَّيْن. الدَّيْن يا ولدي همٌّ في الليل وذلٌّ في النهار، ولقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من غَلَبَةِ الدَّين وغلبة العدوّ وشماتة الأعداء[1].

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن»، وصححه الألباني.

يا ولدي!

تنَزّه في حقول تاريخ أمتك الماجدة المجيدة، واقرأ سيرة مسيرة هذه الأمة التي قال فيها القائلون: ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب، وانظر إلى الأرض من أقصاها إلى أقصاها ترَ الراياتِ الميمونةَ ترفرف بنشوةٍ وفخار، رافعةً من عبارة التوحيد: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) شعاراً خالداً وهدفاً واحداً، لم يختلط يوماً ما بجشعٍ أو طمعٍ، برغبةٍ في استعباد البلاد أو العباد أو الاستعلاء على أحد، لا يحدو ركبَها القدسيَّ إلا كلمةٌ طيبةٌ كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء، تؤتي أُكُلَها كل حينٍ بإذن ربها.

قال شاعر الإسلام، الشاعر الباكستانيُّ محمد إقبال:

بمعابد الإفرنج كان أذانُنا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنسَ إفريقيا ولا صحراؤها ... سجداتِنا والأرض تقذف نارا
كنا نقدّم للسيوف صدورَنا ... لم نخشَ يوماً غاشماً جبارا
لم نخشَ طاغوتاً يحاربُنا ولو ... نصب المنايا حولنَا أسوارا
وكأن ظِلَّ السيف ظلُّ حديقة ... خضراءَ تنبت حولنا الأزهارا
ندعو جهاراً لا إله سوى الذي ... صنع الوجود وقدَّر الأقدارا
ورؤوسُنا يا ربِّ فوق أكفِّنا ... نرجو ثوابك مغنماً وجوارا

من كان يهتف باسم ذاتِك قبلنا؟ من كان يدعو الواحدَ القهَّارا؟!
عبدوا تماثيلَ الصخورِ وقدَّسوا من دونِك الأحجارَ والأشجارا
عبدوا الكواكبَ والنجوم جهالةً لم يبلغوا من هديها الأنوارا
كنّا نرى الأصنام من ذهبٍ فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غيرُ المسلمين لحازها كَنْزاً وصاغ الحليَ والدينارا

يا ولدي!

أتدري من هم المؤمنون؟!

لقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

يا ولدي!

كن من عباد الرحمن، فما أرفعَهم وما أروعَهم.

أتدري من هم عباد الرحمن؟

لقد وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم بصفاتٍ كريمةٍ فقال:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٦٨].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمٗا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٢ ـ ٧٦].

يا ولدي!

﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ

وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

يا ولدي!

أعجز الناس من قصَّر في طلب الإخوان، وأعجز منه من فرَّط بإخوانه الذين جمعهم!

يا ولدي!

من لم يرضَ عن صديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطُه، ومن عاقب على كلِّ ذنبٍ كثُر عدوُّه، ومن لم يؤاخِ من الإخوان إلا من لا عيب فيه قلَّ صديقه.

ولقد قال الشاعر:

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتباً صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه
وإن أنتَ لم تشرب مراراً على القذى ظمئتَ، وأيُّ الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلّها كفى المرءَ نُبلاً أن تُعدَّ معايبه

يا ولدي!

إذا أردتَ أن تعرف وفاء الرجل ودوامَ عهده، فانظر حنينَه إلى أوطانه، وشوقَه إلى إخوانه، وبكاءَه على ما مضى من زمانه.

يا ولدي!

الوفاء بالعهد خلَّةٌ لا يستطيعها إلا أكابر الرجال ونبلاءُ الناس، وفي قصة السموءَل التي حدثت في الجاهلية مثلٌ رائعٌ على الوفاء بالعهد، جعل الناس على مرِّ التاريخ يقولون: لا أوفى من السموءَل.

وخلاصة قصة هذا الرجل أنَّ الشاعر الجاهليّ امرأ القيس أراد المضيَّ إلى قيصر الروم، فأودع عند السموءل دروعاً وسلاحاً وأمتعةً تساوي من المال شيئاً كثيراً، فمات امرؤ القيس، فأراد ملك قبيلة كندة ـ وهي القبيلة التي ينتمي إليها امرؤ القيس ـ أن يستولي على ثروته، فأرسل إلى السموءل يطلب منه الدروع والأسلحة والأموال المودعة عنده، فقال السموءل: لا أدفعها إلا لورثته، ولا علاقة لك بها! فألحَّ عليه الملك فأبى وقال: لا أخون أمانتي وعهدي، ولا أغدر بذمّتي، ولا أترك الوفاء بالواجب علي.

فأراد الملك أن يأخذ تلك الودائع عنوةً، فتوجَّه بجيشه نحو السموءل، فتحصَّن هذا في حصنه، فحاصره الملك، وكان أحد أبناء السموءل خارج الحصن، فظفر به الملك فأخذه أسيراً، وصاح بالسموْءَل وقال له: إنَّ ولدك أسيرٌ

عندي، وها هو بين يديَّ، فإن سلَّمتَ إليَّ ما أريدُ رحلتُ عنك وسلَّمتُ إليك ولدك، وإن أبَيتَ ذبحتُ ولدك وأنت تنظر إليه، فاختر أيَّهما شئتَ!

فقال السموءل: ما كنتُ لأخفرَ ذمامي وأُبطلَ وفائي وأخونَ عهدي وأضيِّعَ أمانتي، فافعل ما تشاء!

فذبح الملك ولده أمام عينيه! ثم عجز عن اقتحام الحصن، فرحل بجيشه، وجاء بعد ذلك ورثةُ امرىء القيس فسلَّمهم السموْءَل الأمانة، واحتسب ذبح ولده عند الله، حفاظاً منه على عهده، ووفاءً منه لأمانته وذمته.

يا ولدي!

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

أجل والله، لقد كان الإنسان ظلوماً لنفسه حين رضي أن يحمل أمانة العقل والتكاليف وحرية الاختيار، التي أشفقت السماوات والأرض من حملها، فلم يقم بأداء حقوقها، وكان جهولاً بهَولها وثِقَلها.

فكن من أولي العزم، واحمل هذا العبء الثقيل، واستعن بالله فهو خير ناصرٍ ومعين.

يا ولدي!

كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من علمٍ لا ينفع، وقلبٍ لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها[1].

يا ولدي!

لو قرأتَ العلمَ ألفَ سنة، وجمعتَ ألفَ كتاب، لن تكون مؤهّلاً لرحمة الله إلا بالعمل الصالح، فلقد قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤٠]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وبدون عملٍ لا فائدة من كلِّ ما تعلم وتتعلم:

لو كِلتَ ألفي رطل خبزٍ لم تكن لتصير شبعاناً إذا لم تأكلِ

ولو عملتَ ألف سنة، وأمضيتَ عمركَ ليل نهار في الطاعة والعبادة والركض في تربية هذا وتعليم ذاك، لم تكن مؤهلاً لنيل رحمة الله إذا لم تُخلص النية لوجهه جلَّ وعلا، **فالناس**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه».

كلهم موتى إلا العالمين، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملين، والعاملون كلهم غرقى إلا المخلصين، والمخلصون على خطرٍ عظيم.

وعظ النبي ﷺ يوماً صحابته فقال: «**إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله تعالى يوم القيامة: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»[1].

يا ولدي!

تضع الذنوبَ على الذنوبِ وترتجي دَرَجَ الجنانِ وطيب عيش العابدِ
ونسيتَ أنَّ اللهَ أخرجَ آدماً منها إلى الدنيا بذنبٍ واحدِ!

يا ولدي!

إنَّ الله يبغض ثلاثةً وبُغضُه لثلاثةٍ أشد، ويحب ثلاثةً وحبه لثلاثةٍ أشد.

يُبغض الشابَّ الزاني، وبُغضه للشيخ الزاني أشد.

ويبغض الغنيَّ المختال، وبغضه للفقير المختال أشد.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، وإسناده صحيح.

ويبغض الفقيرَ البخيل، وبغضه للغني البخيل أشد.

والله يحب الشيخ العفيف، وحبه للشاب العفيف أشد.

ويحب الغنيَّ الكريم، وحبه للفقير الكريم أشد.

ويحب الفقيرَ المتواضع، وحبه للغني المتواضع أشد.

يا ولدي!

كل الناس يمكن إرضاؤهم إلا الحاسد، فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة عن المحسود، ولقد قال الشاعر:

كلُّ العداواتِ قد تُرجى إزالتها إلا عداوةَ من عاداكَ من حسدِ

والحاسد لا ينال في مجالس الناس إلا مذمةً وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنةً وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا همّاً وغماً، ولا ينال عند النزع إلا شدَّةً وهولاً، ولا ينال عند نشر الصحائف يوم القيامة إلا فضيحةً ونكالاً، وكيف لا وقد ورد في الأثر: **الحاسد عدوٌّ لنعمة الله، متسخِّطٌ لقضائه، غيرُ راضٍ بقسمته التي قسمها بين عباده.**

وبعبارةٍ أخرى: البخيل يبخل بماله على الناس، والحاسد يبخل بمال اللهِ على عباد الله!

يقول النبي ﷺ: «**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء! هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي**

نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا. أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشُوا السلام بينكم»[١].

يا ولدي!

حبُّ الدنيا رأس كلِّ خطيئة.

ورد في الأثر أنه يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوزٍ شمطاء حولاءِ العينين، أنيابها باديةٌ، مشوَّهٌ خَلقُها، تشرف على الخلائق فيقال: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه! فيقال: هذه هي الدنيا التي تناحرتم عليها! بها تقاطعتم، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم! ثم تُقذَف في جهنم فتنادي: أي ربِّ، أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله تعالى: ألحِقوا بها أتباعها وأشياعها[٢].

يا ولدي!

لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى منها كافراً شربة ماء، لكنها أقلُّ وأذلُّ من ذلك، ولقد ضرب أحد الحكماء أوضح مثالٍ عن تفاهة الدنيا حين قال لولده: ألا

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، ٧/ ٣٨٣.

أريكَ الدنيا جميعَها بما فيها؟! فقال: بلى. فأخذ بيده ومشى به إلى وادٍ فيه مزبلةٌ فيها رؤوسُ أناسٍ وقاذوراتٌ وخِرَقٌ باليةٌ وعظام، فوقف تجاهها وقال: أترى هذه الرؤوس؟ كانت تحرص على الدنيا كحرصكم عليها، وتأمل منها كآمالكم فيها، ثم هاهي اليوم عظامٌ بلا جلدٍ، ثم هي صائرةٌ رماداً.

أترى هذه القاذورات؟ هي ألوان أطعِمَتِهم، اكتسبوها من حيث اكتسبوها، من حلالٍ أو حرام، ثم قذفوها في بطونهم، ثم أصبحت كما ترى، يتحاشاها الناسُ، وأوّلهم أصحابها!

أترى هذه الخرقَ البالية؟ كانت رياشَ المترفين ولباسَهم، فأصبحت والرياح تصفقها.

وهذه العظام المنخورة هي عظام دوابهم التي كانوا يطوفون عليها أطراف البلاد، فمن كان باكياً على الدنيا فليبكِ على ما رأيت: **بناءٌ للخراب وأرواحٌ للفناء!**

يا ولدي!

الدنيا:

إن أقبلت بلت..

أو أدبرت برت..

أو أطنبت نبت..

أو أبهجت هجت..

أو أينعت نعت..

أو أكرمت رمت..

أو عاونت ونت..

أو سامحت محت..

أو صالحت لحت..

أو أوصلت صلت..

أو بالغت لَغت..

أو زوَّجت وجت..

أو أولهت لهت..

أو وفَّرت فرت..

أو أسعفت عفت..

أو بسطت سطت..

فكن منها على حذر!

يا ولدي!

ثمانيةٌ لا بد منها على الفتى ولا بد أن تجري عليه الثمانيه:

سرورٌ وهمٌّ واجتماعٌ وفُرقةٌ وعسرٌ ويسرٌ ثمَّ سُقمٌ وعافيه

يا ولدي!

إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة، لأنَّ الآخرة كريمةٌ والدنيا لئيمة، فأكرِم الكريمَ أكرمكَ الله، وشدِّد على اللئيمِ الوثاقَ، وتذكَّر قول الشاعر:

إذا أنت أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ وإن أنت أكرمتَ اللئيمَ تمرَّدا

نصح النبي ﷺ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال له: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل**»[1].

فيا ولدي، هل رأيتَ مسافراً ركبَ طائرةً أو باخرةً أو سيارةً، فنسي أنه مسافرٌ، وحبس نفسه في الطائرة أو الباخرة، ورفض الخروج منها إلا بالقوة!!

الدنيا ليست آخرَ المطاف، وليست محطتَنا التي سنُنزل فيها رحالنا إلى الأبد، وحالنا فيها كحال عابر السبيل، وسنفارقها يوماً إلى دار الخلود والبقاء، فإما نعيمٌ وإما شقاء!

يقول الشاعر:

يانفسُ مالي وللأموال أكنزها خلفي وأخرجُ من دنيايَ عريانا

---

(١) رواه البخاري في «الصحيح»، ٥/ ٢٣٥٨.

ما بالنُا نتعامى عن مصارعنا ننسى لغفلتنا مَن ليسَ ينسانا
أين الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ومَن كانت تخرّ له الأذقانُ إذعانا
صاحت بهم حادثاتُ الدهرِ فانقلبوا مستبدلينَ من الأوطانِ أوطانا
أَخلَوا منازلَ كان العزُّ مفرشَها واستفرشوا حفراً غُبراً وقيعاناً
يا راكضاً في ميادينِ الهوى فرحاً ورافلاً في ثيابِ الغيّ نشوانا
مضى الزمان وولّى العمرُ في لَعبٍ يكفيك ما قد مضى، يكفيك ما كانا

يا ولدي!

الظلماتُ خمسٌ والسُّرُج لها خمسة:

حبُّ الدنيا ظُلمة، وسراجها: التقوى والورع.

والذنبُ ظلمة، وسراجها: التوبة والاستغفار.

والموت ظلمة، وسراجها: لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله، قولاً وعملاً.

والقبرُ ظلمة، وسراجها: العمل الصالح والعبادة الخالصة.

والصراط ظلمة، وسراجها: اليقين بالله والاتكال عليه.

يا ولدي!

دع عنكَ ما قد كان في زمن الصبا واذكر ذنوبَكَ وابكِها يا مذنبُ
واذكر مناقشة الحساب فإنه لا بدَّ يُحصى ما جنَيتَ ويُكتبُ

لم ينسَهُ الملَكانِ حين نسيتَهُ بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعبُ
والروح فيك وديعةٌ أُودِعتَها ستردُّها بالرغم عنك وتُسلَبُ
وهناك إما جنةٌ أو غيرها بنعيمها أو جمرها تتقلَّبُ
فاذرف من العينينِ دمعةَ نادمٍ واذكر ذنوبكَ وامحُها يا مذنبُ

يا ولدي!

أَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقِ الناسَ بخلقٍ حسنٍ، ولا تعجزن، لا تعجزن، لا تعجزنَّ إن أنت عملتَ في يومك عشرة سيئاتٍ أن تعمل ولو حسنةً واحدةً، فإنَّ الحسنةَ بعشرة أمثالها.

وحاشاك يا ولدي أن تعمل عشرة سيئاتٍ في يومك، فالويلُ كلُّ الويلِ لمن غلبت آحادُهُ عشراتِهِ، وسيئاتُهُ حسناتِهِ.

يا ولدي!

«سبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ في ظلِّهِ يوم القيامة، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأ في طاعة الله، ورجلٌ قلبه معلَّقٌ بالمسجد إذا خرج منه حتى يعودَ إليه، ورجلان تحابَّا في الله: اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه، ورجلٌ ذكر اللهَ خالياً ففاضت عيناه، ورجلٌ دعتهُ امرأةٌ ذات منصبٍ وجمالٍ فقال: إني أخاف

اللهَ ربَّ العالمين، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شمالهُ ما أنفقت يمينُه»[١].

يا ولدي!

أوثق عُرى الإيمان الموالاةُ في الله والمعاداةُ في الله، والحبُّ في الله والبغضُ في الله، ومن عادَ مريضاً أو زار أخاً في الله نادى منادٍ: طبتَ وطاب ممشاكَ وتبوَّأتَ من الجنة منزلاً، وما زار أخٌ أخاً في الله شوقاً إليه ورغبةً في لقائه إلا ناداه ملكٌ من خلفه: طبتَ وطاب ممشاكَ وطابت لك الجنة[٢].

وإِنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِى فِى هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى اللهِ ﷻ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ[٣].

يا ولدي!

يقول بعض الناس: بئس العلماء بباب الأمراء، وهذا

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، ٦/ ٤٩٣.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه»، ٨/ ١٢.

صحيحٌ في مواضع، وباطلٌ في مواضعَ أخرى.

هو صحيحٌ إن لم يتمكّن العلماء من الصمود في وجه الإغراء الساحق للمال أو النفوذ أو غير ذلك من الملذَّات والمفاتن الموجودة عند السلاطين.

وهو باطلٌ من حيث المبدأ، لأنَّ العلماء هم رسل الخير والإصلاح للناس كلهم، وعلى رأسهم الأمراء، لأنَّ الأمراءَ من الناس بِمَنْزِلَةِ الرَّأسِ من الجسد: إن صلُحوا صلُحَ الجسد كلُّه، وإن فسدوا فسد الجسد كلُّه، وكان عبد الله بنُ المبارك يقول: لو كانت لي دعوةٌ مستجابةٌ لدعوتُها للسلطان.

وقد أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بالتوجه إلى أمير زمانه (فرعون)، رغم أنه طغى وتجبَّرَ وأفسد في الأرض وجعل أهلَها شِيَعاً، وأمره بخطابه بألطف الأساليب وأنعم الأحاديث، وأن يقول له: هل لك إلى أن تزكَّى وأهديَكَ إلى ربك فتخشى؟!

أليس هذا القولُ (قولاً ليِّناً)؟! وفوق ذلك أيَّده بالمعجزات التي تساعده على إثبات صحة دعواه، فالعصا واليد البيضاء وبقيَّة المعجزات، كانت كلُّها وسائلَ مساعِدَةً للحوار مع فرعون ليفهمَ بها إن كان من العاقلين.

أليس لنا في سنَّة الله تعالى مع نبيِّه موسى وعدوِّه فرعونَ عظة وعبرة وأسوة حسنة؟!

يا ولدي!

دخل التابعي عطاء بن أبي رباح مفتي مكة، على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في موسم الحج، وكان هشامٌ جالساً على السرير وحوله الأشراف والوجهاء، فلما رأى هشامٌ مفتيَ مكة عطاء بن أبي رباح يدخل عليه، قام إليه وسلّم عليه.

أراد عطاءٌ أن يجلس حيث جلس القوم، ولكنَّ الخليفة جذبه برفقٍ وهو يقول: ههنا، ههنا، حتى أجلسه معه على سريره، ومسّ ركبتيه بركبتيه، ثم سأله متوداً: ما حاجتك يا أبا محمد؟!

قال عطاء: يا أمير المؤمنين، أهلُ الحرمين، أهل الله وجيران رسوله، تقسِّم عليهم أرزاقَهم وأعطياتِهم.

فقال الخليفة: نعم، حباً وكرامة. ونادى حاجبَه قائلاً: اكتب لأهل مكة والمدينةِ بعطاياهم وأرزاقهم لسنةٍ كاملةٍ.

ثم التفت إلى عطاءٍ وقال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟

قال عطاء: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز وأهل

نجد، أصل العرب وقادة الإسلام، تردُّ إليهم ما فَضُل من صدقاتهم.

قال الخليفة: نعم، حباً وكرامة. ونادى: اكتب يا غلام بأن تُردَّ في أهل الحجاز ونجد صدقاتُهم.

ثم قال: هل من حاجةٍ بعدُ يا أبا محمد؟

قال عطاء: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الثغور، المرابطون على الحدود لحراسة المسلمين ومواجهة العدو، فإنهم يقفون في وجه عدوكم، ويردُّون من أراد بالإسلام والمسلمين شراً، فهل لك أن تجري لهم أرزاقاً!!

فقال الخليفة لحاجبه: يا غلام، اكتب بحمل الأرزاق إلى أهل الثغور.

ثم قال: هل من حاجةٍ غيرها يا أبا محمد؟

قال عطاء: نعم يا أمير المؤمنين، أن لا يُكلَّفَ أهلُ الذمة من اليهود والنصارى الذين يعيشون في بلاد المسلمين بما لا يطيقون.

فقال الخليفة: يا غلام، اكتب أن لا يكلف أهل الذمة بما لا يطيقون.

ثم قال: هل لك من حاجةٍ غيرها يا أبا محمد؟!

قال عطاء: نعم يا أمير المؤمنين، اتق الله في نفسك، واعلم أنك خُلقتَ وحدك، وأنك تموت وحدك، وأنك ستحشر وحدك، وتحاسب وحدك، وما معك ممن ترى من هؤلاء أحد، فبكى هشام حتى بلّ لحيته بدموعه.

خرج عطاءٌ من مجلس الخليفة بعد أن استأذن بالانصراف، فتبعه رجلٌ بكيسٍ فيه مالٌ وهو يقول: إنَّ أمير المؤمنين قد بعث لك بهذا.

فقال عطاءٌ بلطفٍ: هيهات هيهات!! قل للخليفة: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

يا ولدي!

يحكى أن والي العراق ابن هُبيرة الفزاري بعث إلى التابعي محمد بن سيرين يدعوه لزيارته، فمضى إليه ومعه ابن أخيه.

رحب الوالي بابن سيرين، وسأله عن كثيرٍ من أمور الدين والدنيا، ثم قال له: كيف تركت أهل بلدك يا ابن سيرين؟

قال: تركتُهم والظلم فيهم فاشٍ، وأنت عنهم لاهٍ.

فغمزه ابن أخيه بيده، فالتفت ابن سيرين إليه وقال: لستَ أنت الذي تُسأل، وإنما أنا، وإنها لشهادةٌ، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

سمع الوالي من ابن سيرينَ كلامه، وودّعه بمثل ما استقبله به من حفاوةٍ وتعظيم، وبعث إليه كيساً فيه ثلاثةُ آلاف درهم، لكنَّ ابن سيرين اعتذر عن قبولها، فسأله ابنُ أخيه: ما يمنعك أن تقبل هدية الوالي؟!

فأجابه: إنما أعطاني الوالي لخيرٍ ظنه بي، فإن كنتُ من أهل الخير كما ظنَّ، فما ينبغي لي أن أَقبل مالاً يعطيني إياه الوالي من بيت مال المسلمين ثمناً لنصيحتي، وإن لم أكن من أهل الخير، فأحرى بي ألا أقبل ذلك المال لآني لا أستحقه!

يا ولدي!

قدم سليمان بن عبد الملك إلى المدينة المنورةِ وهو في طريقه إلى الحج، فأراد أن يلتمس موعظةً من أحد رجالها، فأرسل إلى رجلٍ من الصالحين يُدعى أبا حازم الأعرج (سلمة بن دينار)، فلما دخل عليه سأله سليمان: يا أبا حازم، ما لنا نحب الدنيا ونكره الموت؟

قال أبو حازم: لأنكم خرّبتم آخرتَكم وعمّرتم دنياكم، فكرهتم الانتقالَ من العمران إلى الخراب.

قال: يا أبا حازم، كيف القدوم على الله؟

فقال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالعبد الآبق يعود إلى مولاه!

فبكى سليمان وقال: ليت شِعري ما مقامي عند الله؟!

فقال أبو حازم: يا أمير المؤمنين، اعرض نفسك على كتاب اللهِ تعرف مقامك عنده، فلقد قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤].

قال سليمان: فأين رحمة الله؟

فقال: هي قريبةٌ من المؤمنين المحسنين الذين يعملون السوء بجهالةٍ ثم يتوبون من قريب.

قال سليمان: يا أبا حازم، أيُّ عباد الله أكرم؟

فقال: أهل البر والتقوى.

قال: فأيُّ الأعمال أفضل؟

قال: أداءُ الفرائض مع اجتناب المحارم.

قال: فأيُّ الكلام أسمع؟

قال: قولةُ الحقِّ عند من تخاف وترجو.

قال: فأيُّ المؤمنين أكيَس؟

قال: رجلٌ عمل بطاعة الله ودعا الناسَ إليها.

قال: فأيُّ الناس أخسَرُ؟

قال: رجلٌ ناصر أخاه الظالمَ، فباع آخرته بدنيا غيره!

قال: عِظني يا أبا حازم.

فقال: سأعِظُك وأُوجز! عظِّم ربَّك ونزِّهه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أَمَرَك!

يا ولدي!

هكذا يجب أن يكون الدخول على الأمراء والحكام والسلاطين: قولٌ فيه طاعةٌ لله، وأمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر، بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلا، فلا!

ذي المعالي، فليَعلُوَن من تعالى هكذا هكذا، وإلا فلا، لا!

يا ولدي!

رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى، وقد ذكر النبي ﷺ رجلاً مسرفاً على نفسه في الانغماس بالذنوب والخطايا فقال: «**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ فقَالَ اللهُ ﷻ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ**»[1].

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه».

يا ولدي!

كاد الفقر أن يكون كفراً، فاعمل، واستغنِ بالكسب الحلال عن الفقر، واعلم أنَّ اليدَ العليا خيرٌ من اليد السفلى، وربما أصابت الفقيرَ خصالٌ منها: رقَّةٌ في دينه، أو ذهابٌ في مروءته، وربما استخفَّ به كثيرٌ من الناس!

فاعمل، واقصدِ الأسواق للتجارة، فإنها موائد الله تعالى، من أتاها أصاب منها، ولقد قال النبي ﷺ: «**لئن يأخذ أحدكم حبله فيحتطبَ على ظهره، خيرٌ له من أن يسألَ الناسَ: أعطوه أو منعوه**»(١).

ألا ترى يا ولدي أنَّ اللهَ تعالى جعل الغنى مطلباً مبطَّناً من مطالبِ الدين حين فرضَ الزكاةَ على المسلم؟!

من يدفع الزكاةَ؟ الغنيُّ أم الفقير؟!

وفرض الإسلام الحج على المسلم إن استطاع إليه سبيلاً.

ما معنى هذا السبيل؟!

من معانيه الكثيرة أن يكون المسلم الذي يريد الحج وأهلُه

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه».

في كفايةٍ، وأن تتوفر له الراحلة ونفقات الحج ونفقات الأهل في غيابه، فإن عدِمَ ذلك فلا حجَّ عليه!

هذان الركنان: الزكاة والحج، لا يكتملان إلا إن توفَّر المال بين يدي المسلم، فإن لم يتوفر، فالسعيُ في سبيل توفيره، والصبرُ على ابتلاء الله بقلَّة ذات اليد، جهادٌ مأمورٌ به ومُثابٌ عليه من قبل الله إن شاء الله تعالى.

يا ولدي!

ليكن لك في حكاية التينة الحمقاء عبرةً وعِظة، وإياك أن تضنَّ على الآخرينَ بما أكرمك الله تعالى، فيصيبك ما أصابها! وهاك حكايتها كما رواها الشاعر:

وتينةٍ غضَّةِ الأغصان ناضرةٍ قالت لأترابها والصيفُ يحتضرُ:
بئسَ القضاءُ الذي في الأرض أوجدني عندي الجمال وغيري عنده النظر
لأحبسنَّ على نفسي عوارفها فلا يبينُ لها في غيرها أثرُ
كم ذا أكلِّفُ نفسي فوق طاقتها وليس لي بل لغيري الفيءُ والثمرُ
لذي الجناح وذي الأظفار بي وطرٌ وليس في العيش لي فيما أرى وطرُ
إني مفصِّلةٌ ظلِّي على جسدي فلا يكون به طولٌ ولا قِصَرُ
ولستُ مثمرةً إلا على ثقةٍ أن ليس يطرقني طيرٌ ولا بشرُ!

❋ ❋ ❋

جاء الربيع إلى الدنيا بموكبه فازيَّنت واكتست بالسندسِ الشجرُ
وظلَّت التينة الحمقاء واقفةً كأنها وتدٌ في الأرض أو حجرُ
ولم يُطِق صاحبُ البستان رؤيتَها فاجتثَّها فهوت في النار تستعرُ
من ليس يسخو بما تسخو الحياةُ بهِ فإنه أحمقٌ بالحرص ينتحرُ!

يا ولدي!

إياكَ والكِبرَ، فإنه أولُّ ذنبٍ عُصيَ به الله ﷻ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وإياك والحرصَ، فإنه أخرج آدمَ من الجنة، حيث مكَّنه الله تعالى من جنةٍ عرضُها السموات والأرض يأكل منها حيث يشاء، ونهاه عن شجرةٍ واحدةٍ، فوسوس الشيطان له ولزوجته فأكلا منها حرصاً على الخُلدِ ومُلكٍ لا يبلى، فقال الله تعالى له ولزوجته: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨] أي: اهبطوا من الجنة أنتم وذريَّتكم!

وإياك والحسد، فإنما قتل قابيلُ أخاه هابيلَ حين حسده.

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، فحسده لذلك وقتله.

يا ولدي!

اتق اللهَ حقَّ تُقاته، واذكر أنكَ صائرٌ إلى ليلةٍ صبيحتُها يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧]، واعلم أنَّ في ذلك اليوم ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحدٌ أحداً:

الموطن الأول حين تُنصبُ الموازين، حتى يرى المرء ميزانه خفَّ أم ثقُل: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

والموطن الثاني حين تتطاير الكتب، حتى يعلمَ المرء: أيؤتي كتابَه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره! فأما من أوتيَ كتابه بيمينه فيقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٣١]. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٢].

والموطن الثالث حين يوضع الصراط على جسر جهنم، ويُحشدُ الناس للعبور عليه، فيرى المرء نفسَه: أينجو أم يسقط؟!

يقول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

يا ولدي!

يروى أنَّ الخليفة الراشدي عمر بن عبد العزيز كان يقوم الليل وهو يبكي ويردد:

أيقظانُ أنت اليومَ أم أنت نائمُ ... وكيف يطيقُ النومَ حيرانُ هائمُ
فلو كنتَ يقظانَ الغداةَ لحرَّقتْ ... مدامعَ عينيكَ الدموعُ السواجمُ[1]
أصبحتَ في النَّومِ الطويلِ وقد دنتْ ... إليكَ أمورٌ مفظّعاتٌ عظائمُ
نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلُكَ نومٌ والرَّدى لك لازمُ
يغرُّك ما يفنى وتُشغَل بالمنى ... كما غُرَّ باللذاتِ في النوم حالمُ
وتُشغَل فيما سوف تَكرهُ غِبَّه[2] ... كذلك في الدّنيا تعيشُ البهائمُ

يا ولدي!

سئلت فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة زوجها عمر بن

---

(١) الدموع السواجم: الدموع السائلة.
(٢) الغبّ: العاقبة.

عبد العزيز عن حاله في بيته فقالت: والله ما كان بأكثركم صلاةً ولا صياماً، ولكني ما رأيت أحداً أشدّ خوفاً لله منه، وإنه ليكون بيني وبينه لحافٌ، فيخطر على قلبه شيءٌ من أمر الله، فينتفض كما ينتفض طائرٌ وقع في الماء، ثم ينشج، ثم يرتفع بكاؤه حتى أقول: والله لتخرجنّ روحه التي بين جنبيه، فأطرح اللحاف عني وعنه رحمةً له وأنا أقول: يا ليتنا كان بيننا وبين هذه الإمارة بُعد المشرقين، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها!

يا ولدي!

لا تُكثر الكلامَ بغير ذكر الله، فإنَّ كثرةَ الكلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلب، وإنَّ القلبَ القاسي بعيدٌ من الله.

ولا تنسَ ذنوبك وتنظر في ذنوب الناس وكأنك ربهُّم وحسابهم عليك، بل انظر في ذنوبك وكأنك عبدٌ آبقٌ يرجو الغفرانَ ويخاف أن يفوتَه، ويخشى العقابَ ويحسبه وشيكاً.

والناس أجناس: منهم المبتَلى بالذنوب، ومنهم المعافى منها، فارحم أهلَ البلاء وادعُ لهم بالهداية (إن لم تكن منهم)، واحمد اللهَ على العافية (إن كنتَ من أهلها).

يا ولدي!

قل لي من تصاحب، أقُل لك من أنت، والصاحب

ساحبٌ، إما إلى الخير وإما إلى الشر، إما إلى العز وإما إلى الذل، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

فلا تصحب أخا الجهلِ وإياكَ وإياهُ
فكم من جاهلٍ أردى حليماً حين آخاهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما المرءُ ماشاهُ
وللشيء من الشيءِ مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلب على القلبِ دليلٌ حين يلقاهُ

فاصحب من ينفعك حالُه، ويدلُّك على اللهِ مقالُه، ويزيد في شرفك وعزِّكَ اجتماعُك به، وإياك ممّن تهبط صحبتك له بسمعتك بين الناس، ولا تقل لي: أنا لا أعمل بعمله، أنا لا أقرُّه على عمله، أنا أريد أن أنصحه وأسحبه من مستنقع أعماله! فالناس لا يفرِّقون بينك وبينه، وليس للناس إلا الظاهر، واللهُ يتولَّى السرائر! ولقد قال الحكماء: يا صيَّاد، احذر أن تُصاد.

يا ولدي!

كان أحد الصالحين يخاطب نفسه بقوله: هاه، أتريد أن تسكن الفردوسَ الأعلى وتجاورَ الرحمنَ في دارهِ مع النبيينَ والصدِّيقينَ والشهداء والصالحين؟!

بأيِّ عملٍ عملتَه؟

بأيِّ شهوةٍ تركتَها؟

بأيِّ غيظٍ كظمتَه؟

بأيِّ رحِمٍ وصلتَها؟

بأيِّ زلَّةٍ لأخيك غفرتَها؟

بأيِّ بعيدٍ قاربتَه لله؟

بأي قريبٍ باعدتَه لله؟!

لا يغرنَّك قول من قال: يُحشَر الرجل مع من أحبَّ، لأنَّ من أحبَّ أطاع محبوبه، ولن تلحق بالأبرار إلا بأفعالٍ كأفعالهم، ولقد قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقال الشاعر:

تعصي الإلهَ وأنتَ تزعمُ حُبَّهُ؟ هذا لعمري في الزمان بديعُ!

لو كنتَ تصدق حبَّه لأطعتَهُ إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ يطيعُ

يا ولدي!

قيلَ لإبراهيم بن الأدهم: ما بالُنا ندعو اللهَ فلا يستجيب لنا، مع أنه قال: ادعوني أستجب لكم؟!

فقال: لأنَّ قلوبكم ميتة، وقد أماتتها خصالٌ ثمانية:

عرفتم اللهَ ولم تقوموا بحقّه.

وقرأتم القرآن ولم تعملوا به.

وأحببتم النبيَّ ولم تقتدوا به.

وآمنتم بالموت ولم تستعدوا له.

وقال ربكم: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، فاتخذتموه رفيقاً ووافقتموه على درب المعاصي.

وقلتم: نرجو الجنة، ولم تعملوا بما يقرِّبكم إليها.

وقلتم: نخاف من النار، ولم تتركوا ما يأخذكم إليها.

وأنتم إذا قمتم من بيوتكم نسيتم عيوبكم وذكرتم عيوب الناس، فأسخطتم ربكم، فكيف يستجيب لكم؟!

يا ولدي!

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

يحكى أنَّ الصحابيَّ عيينة بنَ حصن رضي الله عنه كان من الأعراب الجفاة، فَنَزل مرةً إلى المدينة المنورة، وحلّ ضيفاً على ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان الحرّ من الذين يدنيهم خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأخذ آرائهم ومشورتهم.

فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، استأذن لي على أمير المؤمنين عمر، فإني أريد أن أحادثه.

فقال الحرّ لعمّه: إني أخاف أن تكلِّم الخليفة بكلامٍ لا ينبغي.

فوعده عيينة بأن لا يتكلم إلا بما يرضيه ويرضي الخليفة ويرضي اللهَ ﷻ، فاستأذن الحرّ لعمه، فأُذن له.

عندما دخل عيينةُ إلى مجلس الخليفة عمر رضي الله عنه، رفع صوته في وجهه قائلاً: هيه يا ابن الخطاب، فوالله إنك لا تعطينا الجَزل، ولا تحكم بيننا بالعدل!

غضب الخليفة من هذا الذي يُغلظ له القولَ دون مبرر، ويسأله عطاءً بدون وجه حقٍ.

فقال الحرّ بن قيس: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإنَّ عمي هذا لمن الجاهلين!

فسكن عمر وقال لعيينة: اذهب فقد عفوت عنك.

يا ولدي!

من حُسن إسلام المرء تركُهُ ما لا يعنيه، وإنَّ امرأً ذهبت ساعةٌ من عمره بدون عملٍ صالحٍ نافعٍ، لجديرٌ أن تطول حسرته، ومن جاوز الأربعين من عمره ولم يغلب خيرُه شرَّهُ فليتجهَّز إلى النار، لأنَّ المرء يشيب على ما شبَّ عليه، فإن

شبَّ على الشرِّ وشاب عليه، فيا ويحَ قلبه، ويا سوءَ حظه، ويا سوادَ وجههِ في الدنيا والآخرة.

يا ولدي!

إياك أن تنسى قولَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

واعلم أنَّ الله خلق لك عينين وأذنين لترى رؤيةً مضاعفةً وتسمع سمعاً مضاعفاً، فلا تتعجَّل بالحُكمِ على الأمور قبل تمام التأكد من الحقائق، وإذا جاءك رجلٌ بحديثٍ أو شكوى عن رجلٍ آخر، فاسمع منه ثم اسمع من خصمه، فكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو جاءني رجلٌ وقد قُلعَت عينه، لم أحكم له حتى أسمعَ من خصمه، إذ ربما كان خصمه قد قُلِعت عيناه!

وإنَّ الوقوع في أعراض الناس وقَدحَهم بدون بيِّنةٍ واضحةٍ إثمٌ وإفكٌ وبهتانٌ مبين، لا تحسبوه هيِّناً، إنه عند الله عظيم!

يا ولدي!

اقرأ قصيدةَ (الطين) واحفظها عن ظهرِ قلب، فإنها من روائع أشعار العرب والإنسانية.

يرمز (الطين) في هذه القصيدة للإنسان، لأنَّ الله تعالى خلقه من طين، وفيها يقول الشاعر:

نسي الطين ساعةً أنه طينٌ حقيرٌ، فصال تيهاً وعربد
وكسا الخزُّ جسمَه فتباهى وحوى المالَ كيسُهُ فتمرَّد
يا أخي لا تُشِح بوجهكَ عني ما أنا فحمةٌ ولا أنتَ فرقد
أيها المزدهي، إذا مسَّكَ السُّقمُ، ألا تشتكي؟ ألا تتنهد؟!
وإذا راعَكَ الحبيبُ بهَجرٍ ودَعَتكَ الذكرى، ألا تتوجَّد؟!
أنت مثلي، يبشُّ وجهك للنعمى وفي حالِ المصيبةِ يكمد
والنجوم التي تراها أراها حين تخفى وعندما تتوقد
لستَ أدنى (على غناكَ) إليها وأنا (على خصاصتي) لستُ أبعَد!

❋ ❋ ❋

أنت مثلي، من الثرى وإليهِ فلماذا يا صاحبي التيهُ والصدّ؟!
أجميلٌ؟! ما أنت أبهى من الوردةِ ذاتِ الشذى، ولا أنت أجوَد!
أعزيزٌ؟ وللبعوضة من خدَّيكَ قُوتٌ وفي يديكَ المهند
أغنيٌّ؟ هيهات تختال لولا دودةُ القزِّ بالكساء المبجَّد
أقويٌّ؟ إذن مُرِ النومَ إذ يغشاك عن جفونك يرتد
أم عليمٌ؟ فما الخيال الذي يطرق ليلاً؟ في أيِّ دنيا يولد؟!

ما الحياة التي تبينُ وتخفى ... ما الزمان الذي يُذمُّ ويُحمد؟!
أيها الطين ما أنت أنقى ... من ترابٍ تدوس أو تتوسَّد
لا يكن للخصام قلبكَ مأوى ... إنَّ قلبي للحبِّ أصبح معبد
أنا أَولى بحبِّ قلبكَ حتماً ... من كساءٍ يبلى ومالٍ ينفد!

يا ولدي!

سأل هارون الرشيد أعرابياً: بمَ نال زعيم قبيلتكم حبَّكم وولاءكم؟ فقال: بحلمِهِ عن سفيهنا، وعفوِه عن مسيئنا، وحملِهِ لضعيفنا، هو ليس بمنَّانٍ إذا وهب، ولا حقودٍ إذا غضب، رحبُ الجَنان، سمحُ البنان، ماضي اللسان.

فقال هارون الرشيد: لو كانت هذه الصفات في كلبٍ لساد وقاد!

يا ولدي!

قال رجلٌ لسلمان الفارسيِّ رضي الله عنه: أوصني.

فقال: عليكَ بالصمت.

قال: لا أستطيع إلا أن أتكلم!

فقال: فإن تكلمتَ فقُل حقاً وخيراً أو فاسكت.

قال: زدني.

فقال: لا تغضب.

قال: قد يهزني أمرٌ لا أستطيع معه إلا أن أغضب!

فقال: فإذا غضبتَ فأمسك لسانك ويدك عن الظلم والأذى والخوض بالباطل.

قال: زدني.

فقال: لا تخالط الناس.

قال: لا يستطيع من يعيش مع الناس إلا أن يخالطهم!

فقال: فإذا خالطتهم فاصدُق الحديثَ وأدِّ الأمانةَ وأمُر بالمعروف وانهَ عن المنكر وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة.

يا ولدي!

اللهُ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]؟!

ﷻ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤].

يا ولدي!

يقول النبي ﷺ: «احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ،

وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[١].

يا ولدي!

اعرفِ اللهَ في الرخاء يعرفك في الشدَّة، واعلم أنَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأنَّ النصرَ مع الصبرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكربِ، وأنَّ الله تعالى قال:

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الانشراح: ٥ ـ ٦]، ولن يغلبَ عسرٌ يُسرَين، وتذكر قول النبي ﷺ:

«**تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»[٢]، وقوله ﷺ: «من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء»[٣].

يا ولدي!

اعبد اللهَ كأنك تراه، واذكُره عند كلِّ حجرٍ وشجر، وإذا

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح، ٤/ ٦٦٧.

(٢) «الجامع الصغير» للسيوطي، وصححه الألباني.

(٣) رواه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني.

عملتَ سيئةً فاعمل حسنةً، فإنَّ رسول الله ﷺ يقول: «**وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها**»[١].

يا ولدي!

إنَّ يسارَ النفسِ أفضل من يسار المال، فإن لم تُرزَق غنى فلا تُحرَم من القناعة، وليَجُد لسانُكَ بالخير بدلاً عن كفِّكَ، حين لا يُسعفك إلا هو، فلقد قال الشاعر:

لا خيل عندك تهديها ولا مالُ فليُسعد النطقُ إذ لم تُسعدِ الحالُ

ولا يغرنَّك تقلُّب الناس في المال، فربَّ شبعان من النِّعمِ عريان من الكرم، وإنَّ الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولا يعطي الدينَ إلا لمن يحب، واعلم أنَّ المؤمن المستقيم على خيرٍ دائماً: ترجِّب به الأرض وتستبشر به السماء، ولن يُساء إليه في بطن الأرض وقد أحسن على ظهرها!

وإنَّ الفاجر المنحرف على سوءٍ دائماً: تلعنه الأرض وتنبذه السماء، ولقد توعَّدَ اللهُ تعالى الفاجرين بعذابٍ أليم.

مرَّت جِنَازَةٌ من أمام النبي ﷺ فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ. فسأله الصحابة: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَما الْمُسْتَرَاحُ

---

(١) الترمذي في «سننه»، ١٩٨٧.

مِنْهُ؟ فقَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ»[1].

يا ولدي!

شكى أحد الفقراء فقرَه إلى أحد الصالحين، فقال له الرجل الصالح: يا فلان، أيسرُّك أنكَ أعمى ولك عشرة آلاف دينار؟

قال: لا.

فقال: أيسرُّك أنك أخرس ولك عشرة آلاف دينار؟

قال: لا.

قال: أيسرُّك أنك مقطوع اليدين والرجلَينِ ولك كذا وكذا؟

قال: لا.

قال: أيسرك أنك مجنونٌ ولك كذا وكذا؟

قال: لا.

فقال: ألا تستحيي أن تشتكي الفقرَ وأنت بهذا الغنى؟!

يا ولدي!

مرَّ أحد الصالحين بصديقٍ من أصدقائه، فوجده حزيناً

---

(١) رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما».

يحمل هموم الدنيا فوق رأسه، فقال له: سأسألك عن ثلاثة أمورٍ فأجِبني عنها: أيجري في هذا الكون ما لا يريده الله؟

فقال: لا.

قال: أفينقص من رزقك شيءٌ قدَّره لك الله؟

قال: لا.

قال: أينقُص من حياتك لحظةٌ كتبها لك الله؟

قال: لا.

قال: فعلامَ إذن هذا الهمُّ وهذا الغمُّ؟!

يا ولدي!

المرء يجمع والزمان يفرِّقُ ... ويظلّ يَرقَع والخطوب تمزِّقُ

ولئن يعادي عاقلاً خير له ... من أن يكون له صديقٌ أحمقُ

فاربأ بنفسك أن تصادق أحمقاً ... إنَّ الصديقَ على الصديقِ مصدَّقُ

وزنِ الكلامَ إذا نطقتَ فإنما ... يبدي عقولَ ذوي العقولِ المنطقُ

يا ولدي!

بلغ عمرَ بنَ عبدِ العزيز أنَّ ابنه اشترى خاتماً فصُّه بألف درهم، فأرسل إليه يقول: قد بلغني أنك اشتريتَ خاتماً فصّه بألف درهم، فإذا جاءك كتابي هذا فبعه وأطعم بثمنه ألف

جائع، واشترِ خاتماً من حديدٍ واكتب عليه: رحم الله امرأً عرف قدر نفسه!

يا ولدي!

إنَّ في القلب شَعَثاً لا يلمه إلا الإقبال على الله..

وفيه وحشةٌ لا يزيلها إلا الأنسُ بالله..

وفيه حزنٌ لا يُذهبه إلا معرفة الله..

وفيه نيرانٌ لا يُطفئها إلا الرضا بقضاء الله..

وفيه فاقةٌ لا يسدها إلا امتلاء القلب بمحبة الله..

ومفتاح ذلك كلِّه ذكرُ الله، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

يا ولدي!

نسيرُ إلى الآجال في كل ساعةٍ ... فأيامنا تُطوى وهنَّ مراحلُ

ولم أرَ مثلَ الموتِ حتى كأنه ... إذا ما تخطَّته الأمانيُّ باطلُ

وما أقبحَ التفريطَ في زمن الصبا ... فكيف به والشيبُ في الرأس شاعلُ

ترحَّل عن الدنيا بزادٍ من التقى ... فعمركَ أيامٌ تُعَدُّ قلائلُ

يا ولدي!

حضرت الوفاةُ أحد الذين لا يؤمنون بالآخرة، فأنشد عندما عاين ملكَ الموت:

لعمرُكَ ما أدري وقد أذن البِلى بعاجلِ ترحالي إلى أين ترحالي!
وأين محل الروح بعد خروجها من الهيكل المنحلِّ والجسدِ البالي

فبلغ قوله هذا أحدَ الصالحين فقال: وما علينا من جهله؟! إذا كان لا يدري إلى أين ترحاله، فنحن ندري إلى أين ترحالنا وترحاله، فلقد قال ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤].

يا ولدي!

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

يا ولدي!

من اعتمد على ماله قلَّ، ومن اعتمد على الناس ملَّ، ومن اعتمد على سلطانه ذَلَّ، ومن اعتمد على عقله اختلَّ، ومن اعتمد على اللهِ لا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، فتبرَّأ إلى الله من حولكَ وقوَّتكَ، واستعن بحَولهِ وقوَّته، واطلب منه أن لا يكِلَكَ إلى نفسكَ طرفة عينٍ ولا أقلَّ من ذلك، واعلم أنَّ الدعاءَ مخُّ العبادة، وما يزال الدعاء يغالب القدَر حتى يغلبَه، فتوجَّه إلى الله بالدعاء عند كلِّ نائبة، ولا تنسهُ في الرخاء

ولا في الشِدَّة، وإنَّ الأنبياءَ توجَّهوا إلى اللهِ تعالى بالدعاء الصادق، متبرِّئين من حولهم وقوتهم، مستعينين بحوله وقوته، إنه ذو القوة المتينُ، فقال يوسف عليه السلام ملتجأً إلى ربه، طالباً منه العَونَ والنصرة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، والتجأ أيوب عليه السلام إلى ربه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، والتجأ موسى عليه السلام إلى ربه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

وما أروع محمداً ﷺ حين أوى إلى كهف ربه المكين وركنه الركين، في ساعةٍ من أضيق وأحرج ساعات حياته، ساعةٍ ضايقه فيها سفهاء الطائف حتى آذوه وألجؤوه إلى بستانٍ لأغرابٍ يحتمي فيه، فنظر بقلبٍ مؤمنٍ إلى السماء وقال بعبوديَّةٍ عظيمةٍ وإطراقٍ جليل: «**اللهم إليك أشكو ضعفَ قوتي وقلةَ حيلتي وهواني على الناس، أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلُني؟ إلى بغيضٍ يتجهَّمني، أم إلى قريبٍ ملَّكتَه أمري؟!**

إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أُبالي، ولكنَّ عافيتك أوسع لي.

أعوذ بنور وجهكَ الذي أشرقت له الظلُمات، وصلُح عليه

أمر الدنيا والآخرة، من أن يحلَّ بي غضبُك، أو ينزلَ بي سخطُك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بكَ يا ربَّ العالمين».

وهنا قد يسأل سائلٌ: وماذا كان عطاء اللهِ لهؤلاء الكرامِ اللاجئين إليه؟!

لقد أنقذ اللهُ يوسفَ من محنتهِ وصرَف عنه الكيد. قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

وعافى اللهُ أيوبَ عليه السلام فقال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

واستجاب الله تعالى لموسى عليه السلام فقال:

﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦].

وأكرم الله النبيَّ محمداً ﷺ بأن أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأراه من آياته الكبرى، ليطمئنَّ قلبُه ويزدادَ بربه ثقةً على ثقة.

يا ولدي!

أقبح أعمال المقتدرين الانتقام، والانتقام عدالةُ اللئام.

يا ولدي!

ما اكتُسبت البغضاءُ بمثل التكبُّرِ على الآخرين، ولقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**»[١].

ولو عرف الإنسان حقيقة نفسه لما تكبَّر على أحد.

يحكى أنَّ أحد المتكبرين سأل أحد الحكماء يوماً: ألا تعرف من أنا؟! فأجابه الحكيم: بلى، أعرفك تماماً، أنت إنسانٌ أوَّلكَ نطفةٌ مذِرَة، وآخرك جيفةٌ قذرة، وأنت بينهما تحمل العَذِرة[٢].

وجاء في أقوال الحكماء: لولا ثلاثة أمورٍ ما عرف الإنسان حدَّه: الفقر والمرض والموت، وإنه رغم ذلك لوثَّاب!

فتواضع، فمن تواضعَ لله رفعه الله، ورحم الله الشاعرَ الحكيمَ حيث قال:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضيعُ

---

(١) رواه أبو داوود في «السنن»، وصححه الألباني.
(٢) العذرة: ما في البطن من قذارة.

يا ولدي!

إذا أردتَ بذل الخير والإحسان، فتذكر أنَّ الأقربين أولى بالمعروف، وأنَّ النبي ﷺ قال: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي القرابة اثنتان: صدقةٌ وصِلة**»(١)، وأنه قال لزوجة عبد الله بن مسعود: «**زوجُكِ وولدك أحقُّ من تصدقتِ عليهم**»(٢).

وقف النبي ﷺ ذات يوم وقال: «**يا أمّة محمد، والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقةً من رجلٍ وله قرابةٌ يحتاجون إلى صِلَتهِ ويصرفها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة**»(٣).

يا ولدي!

الزكاة ركنٌ هامٌّ من أركان الإسلام.

أدِّ زكاة مالك، فإنَّ الله تعالى توعَّد الذين يبخلون عن أداء الزكاة بقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى»، ٢/ ٤٩. صحيح.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه»، ٢/ ٥٣١.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط»، ٨/ ٣٤٦. وضعفه الألباني.

ووصف الله ﷻ عقوبةً أخرى للبخلاء الممتنعين عن أداء حقوق الفقراء فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٣٥].

وتحدَّث النبي ﷺ عن حال ومآل مانعِ الزكاة فقال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع**[(١)]**، له زبيبتان**[(٢)]**، يطوِّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه**[(٣)] **ثم يقول له: أنا مالُكَ.. أنا كنزُكَ**»[(٤)].

يا ولدي!

عندما كان أبو يزيدٍ البسطاميُّ طفلاً صغيراً كان يقرأ القرآن الكريم، فمرَّ معه قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا

---

(١) أقرع: ثعباناً أملس.

(٢) زبيبتان: نقطتان سوداوان فوق عينيه.

(٣) لهزمتيه: شِدقَيه.

(٤) رواه البخاري في «صحيحه»، ٤/ ١٦٦٣.

قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٢]، فسأل أباه: يا أبتِ من هو الذي يأمره الله تعالى بقيام الليل؟

فقال أبوه: إنه نبينا محمدٌ ﷺ.

فقال أبو يزيد: فلمَ لا تفعلُ كما كان النبيُّ يفعل؟

فقال أبوه: إنَّ القيام خاصٌّ بالنبي دون غيره.

فأكمل أبو يزيدٍ قراءته، فمرَّ معه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، فسأل أباه: يا أبت من هم الطائفة الذين كانوا يقومون الليل مع النبي ﷺ؟

فقال الأب: أولئك صحابة النبي رضوان الله عليهم.

فقال أبو يزيد: فأيُّ خيرٍ في تركِ ما كان يفعله النبي وصحابته؟

فقال الأب: صدقتَ يا بني.

ثم قام إلى الصلاة متهجّداً متعبداً، فقال له أبو يزيد:

دعني أصلي معك في الليل. فقال الأب: ارقد فإنك ما تزال صغيراً يا بني.

فقال: يا أبت، إذا كان يوم القيامة، فإنني سأقول لربي: يا ربِّ، لقد سألتُ أبي أن يدعني أصلِّي معه في الليل، فأبى وقال لي: ارقد فأنت صغير. أتحبُّ هذا يا أبي؟!

فقال الأب: لا والله لا أحب هذا، فقُم إلى الصلاة وفَّقك الله.

رحم الله الشاعر حيث قال:

نِعَمُ الإلهِ جليلةٌ وعديدةٌ وأجلُّهنَّ نجابةُ الأبناءِ

يا ولدي!

يؤتي اللهُ الحكمةَ من يشاء من عباده.

يحكى أنَّ طفلاً صغيراً كان يرى أباه مداوماً على الصلاة في الليل، وكان كلما استيقظ رآه راكعاً أو ساجداً، يناجي ربه ويبكي بين يديه.

قال الأب لابنه ذات يوم: يا بنيَّ، ألا تذكر الله الذي خلقك؟!

قال الطفل: بلى، ولكن كيف أذكره يا أبي؟

قال الأب: قل كلَّ يومٍ قبل أن تنام: الله معي، الله ناظرٌ إلي، الله شاهدٌ علي.

واظب الطفل على هذه الكلمات مدةً من الزمن، حتى صار يجد حلاوةً في قلبه عندما يقولها.

قال له أبوه يوماً: يا ولدي، من كان يعرف أنَّ الله معه، ويعرف أنه ناظرٌ إليه، وأنه سيشهد عليه في يوم الحساب، هل يعصيه؟!

قال الولد: كلا يا أبي، لا يعصيه أبداً!

وعاش الولد في ظل هذه الكلمات، وصار بعد ذلك رجلاً صالحاً اسمه سهل بن عبد الله التستري.

يا ولدي!

ادعُ أهلك إلى الخير والطاعة، فأنت راعٍ لهم، والراعي مسؤولٌ عن رعيَّته، وكان الحسن البصري يقول: **(رحم الله رجلاً قال: يا أهلاهُ صلاتَكم، زكاتَكم، مسكينَكم، يتيمَكم، جيرانَكم، لعلَّ اللهَ أن يجمعه بهم في الجنة)**.

وصدق الحسن البصري رحمه الله، فالله تعالى يقول:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

يا ولدي!

إذا قرأت القرآن الكريم فتفكّر في ما تقرأ، وتمعَّن في كلام الله ﷻ.

كان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه يصلي، فقرأ قول الله تعالى:

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، فظل قائماً إلى الصباح وهو يردد: يا من يجزي بمثقال ذرَّة الخير خيراً، وبمثقال ذرّة الشر شراً، أجر عبدك من النار وما يقرِّب إليها، وأدخله في رحمتك.

وقال رجلٌ لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه: قرأتُ القرآن كله البارحةَ في ركعتين! فقال له ابن المبارك: لكنني أعرف رجلاً قرأ قول الله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، وبقي يرددها وهو يهز رأسه ويبكي!

يا ولدي!

كان النبي ﷺ عندما يقوم الليل يطيل القراءة والركوع والسجود، ولا يمر بآيةٍ فيها دعاءٌ ورجاءٌ إلا دعا ورجا، ولا يمر بآيةٍ فيها سؤالٌ وعطاءٌ إلا سأل ربه جل جلاله من فيض عطائه وواسع كرمه، ولا يمر بآيةٍ فيها ذِكرٌ للجنة أو النار، إلا طلب الجنة وما فيها من النعيم، واستعاذ من النار وما فيها من عذاب الجحيم.

يا ولدي!

لا يكونَنَّ الديكُ أحسنَ منكَ حالاً، ينادي ربه ويناجيه في الأسحار، وأنت نائمٌ عن البركات والأنوار:

لقد هتفَت في جُنح ليلٍ حمامةٌ على فَنَنٍ وَهناً وإني لنائمُ
كذبتُ ودينِ اللهِ، لو كنتُ عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحمائمُ
وأزعم أني هائمٌ ذو صبابةٍ لربي ولا أبكي، وتبكي البهائمُ!

يا ولدي!

سئل أحد الصالحين: كيف تقوم الليل ولا تتعب أو تنعس؟

فقال: إذا ذكرتُ النارَ اشتدَّ خوفي منها فلا أستطيع أن أنام، وإذا ذكرتُ الجنةَ اشتد شوقي إليها فلا أستطيع أن أنام!

ثم قال: عبادُ الرحمن المشتاقون إليه، الخائفون منه، المطيعون إياه، ينطبق عليهم قول الشاعر:

إذا ما الليل أظلمَ كابدوهُ فيسفرُ عنهمُ وهمُ ركوعُ
أطارَ الخوفُ نومهمُ فقاموا وأهل الأمنِ في الدنيا هجوعُ

يا ولدي!

احذَرِ الحرامَ.

احذر الحرامَ فإنه يحرمك من كثيرٍ من الخيرات، ولقد قال أحد الصالحين: إذا لم تقدر على صلاة الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محرومٌ قد كثرت ذنوبك، وكم من أكلةٍ محرَّمةٍ

وفعلةٍ محرمةٍ أغلقت على صاحبها أبواب الصيام والقيام والدعاء.

يا ولدي!

يُحشَرُ المرء مع من أحبَّ، فانظر مع من تحبُّ أن تُحشر!

كان ثوبان رجلاً من صحابة النبي عليه الصلاة والسلام، فرآه النبي يوماً مصفرَّ الوجه كئيب النفس، فسأله عن حاله فقال: والله يا رسول الله ما بي وجعٌ ولا سواه، ولكنك إن غبتَ عني أصابتني وحشةٌ شديدة، وتذكرتُ ما بعد الموت وقلتُ: إن أدخَلَني الله الجنةَ فستكون أنت في درجات النبيين العلا، وأين أنا من هذه الدرجات!! فستكون بعيداً عني لا تراني ولا أراك!

فأنزل الله تعالى قوله الكريم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩][1].

يا ولدي!

إذا أتاك شهر رمضان فاستقبِله أحسن استقبال، وأكثِر فيه من الطاعة والعبادة، وزد فيه من فعل الخيرات وتَركِ

(١) وردت القصة في كتب السيرة، وصححها الألباني.

المنكرات، وإذا أراد هذا الشهر الكريم أن يودِّعكَ فافعل كما كان النبي ﷺ يفعل، فقد كان يجتهد في رمضان أكثر مما يجتهد في غيره، فإذا دخل العشر الأخير منه، شدَّ مِئزَرَه وأحيا ليله وأيقظَ أهله[١].

إذا كان النبي ﷺ يفعل هذا، فماذا يجب أن نفعل أنت وأنا يا ولدي؟!

يا ولدي!

إياك أن تُفطر في رمضان عامداً إلا لمرضٍ شديدٍ أو سفرٍ بعيدٍ، فإنَّ النبي ﷺ قال: «**من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصةٍ ولا مرض، لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه**»[٢]!

رأى النبي ﷺ في الرؤيا ذات يوم قوماً معلقين بعراقيبهم، مشقَّقةً أشداقهم تسيل دماً، فقال: من هؤلاء؟ فقيل: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلّة صومهم[٣] أي: يفطرون قبل وقت الإفطار.

واعلم أنَّ الثواب على قدر المشقة، وأنَّ الله تعالى قال في

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه».

(٢) أخرجه الترمذي في «السنن»، ٣/ ١٠١. وضعفه الألباني.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه»، وصححه الألباني.

الحديث القدسي: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ: الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِى! لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»(١).

يا ولدي!

منهومان لا يشبعان: طالبُ علمٍ وطالبُ مال.

فإذا علمتَ أنَّ المنهومَ هو ذلك الذي لا يشبع أبداً، فأنعِم بطالب العلم، لأنه في حالة طاعةٍ دائمةٍ، فطلب العلم فريضةٌ على كل مسلمٍ ومسلمة، وطلب العلم فريضةٌ على المرء من مهده إلى لحده.

أما طالب المال فهو عاشقُ دنيا، وحب الدنيا رأس كل خطيئة.

يا ولدي!

حتى تتعلم، لا بدَّ أن تتألم!

لا تحسب المجد شهداً أنت آكِلُهُ لا بدَّ دون الشهدِ من إبرِ النحلِ!

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه».

واعلم أنَّ العلمَ والمالَ وُزِنا، فكان العلمُ أوزَنَ من المال وأرجحَ، ولهذا قال الشاعر:

العلمُ أعلى من الأموال مَنْزِلَةً لأنه حافظٌ والمالُ محفوظُ

يا ولدي!

من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرةَ فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم، ألا وإنَّ العلمَ شرفٌ في الدنيا شرفٌ في الآخرة، ألا وإنَّ الملائكةَ تضع أجنحتها لطالب العلم إكراماً وتعظيماً ورضاً بما يفعل، ولقد قال الله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]؟!

كلا يا ولدي، لا يستوون أبداً!

يا ولدي!

لا يتناقض طلب العلم والدينِ مع طلب الدنيا وما فيها من نعمةٍ ونعيم.

فلقد ورد في الأثر: ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرتهِ، ولا من ترك آخرته لدنياه، ولكنَّ خيركم من يصيبُ منهما معاً، وقال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ

نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وكان في زمن النبي ﷺ رجل منقطع للعبادة وحوله جماعةٌ يعملونَ فيُطعمونه ويكفونه مؤونة الحياة، فقال ﷺ لهم: كلكم خيرٌ منه(١)!

وقد مدح أحدُ الشعراءِ الخليفةَ العباسيَّ المأمونَ بقوله:

تشاغلَ الناسُ بالدنيا وزينتِها وأنت عنهم بدين الله مشغولُ

فقاطعه المأمون قائلاً: لم تزد على أن جعلتني عجوزاً من عجائز هذه الأمة! هلا قلتَ فيَّ كما قال الشاعر في عمر بن عبد العزيز:

فلا هو في الدنيا مضيعٌ نصيبه ولا عَرَض الدنيا عن الدين شاغله!

ورحم الله الشاعر العربي حيث قال في وصف المؤمنين:

الليلُ يعرفهم رهبانَ مسجدهِ والروم تعرفهم في الحرب فرسانا

ويحكى أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى ذات مرة رجلاً طأطأ عنقه وتمَسكَن متصنعاً الخشوع، فضربه بالدرَّة ضرباً خفيفاً وقال له: لا تمِت علينا ديننا؟!

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه».

يا ولدي!

أحبب حبيبَكَ هوناً ما، فربما صار عدوَّك يوماً ما!

وأبغض عدوَّكَ هوناً ما، فربما صار صديقَك يوماً ما!

وتذكَّر دائماً قولَ الشاعر:

احـــذَر عـــدوَّكَ مـــرةً واحـذر صـديـقـكَ ألـفَ مـرَّه

فـلـربـمـا انـقـلـبَ الـصـديـقُ فـكـان أعـلَـمَ بـالـمَـضَـرَّه!

يا ولدي!

من نصح أخاه سراً فقد زانه، ومن نصحه جهراً فقد شانه، ولقد قال الشاعر:

تعمّدني بنصحكَ في انفرادي وجنِّبني النصيحةَ في الجماعه

فإنَّ النصحَ بين الناس نوعٌ من التوبيخ لا أرضى سماعه

فإن خالفتَني وعصَيتَ قولي فلا تحزن إذا لم تُعطَ طاعه!

يا ولدي!

إذا أرسلتَ رسولاً لقضاء حاجةٍ أم مهمة، فأرسل رجلاً حكيماً، فإن أسأتَ اختيارَ الرسول فقد عرَّضتَ المهمةَ للفشل.

وقعت بين الأعمش وزوجته خصومةٌ، فأرسل أحد أصحابه إليها ليسترضيَها، فذهب إليها وقال لها: إنَّ الأعمش رجلٌ يحبك، فلا يزهِّدنَّك فيه أنه شيخٌ كبيرٌ، ولا تنظري إلى

عمش عينيه وضعفِ ركبتيهِ ونتنِ إبطيهِ وارتعاشِ كفيهِ ودقةِ ساقيه ورائحة فمه! فقال له الأعمش: قم قبَّحكَ الله، لقد أرَيتَها من عيوبي ما لم تكن تعرفه!

يا ولدي!

إذا نطق السفيه فلا تُجِبهُ ... فخيرٌ من إجابته السكوتُ
فإن جاوبتَه فرَّجتَ عنهُ ... وإن أهملتَه كَمَداً يموتُ!

يا ولدي!

يستوجب الصفعَ في الدنيا ثمانيةٌ ... لا لومَ في واحدٍ منهم إذا صُفِعا:
المستخفُّ بسلطانٍ له خطَرٌ ... وداخلُ الدار تطفيلاً بغير دُعا
ومُنفِذٌ أمرَهُ في غيرِ منزلهِ ... وجالسٌ مجلساً عن قدره ارتفعا
ومُتحِفٌ بحديثٍ غيرَ سامعهِ ... وداخلٌ في حديث اثنينِ مندفعا
وطالبُ الفضلِ ممن لا خَلاقَ لهُ ... ومبتغي الودِّ من أعدائه طمَعا

يا ولدي!

يقول النبي ﷺ: «إنَّ شرَّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة من تركه الناس اتقاءً لشرّه»[1]، وأشرُّ منه من أكرمه الناس

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، ٥/ ٢٢٤٤.

اتقاءً لشره، ورُبَّ أناس تهش لهم وجوه الناس وقلوبهم تلعنهم.

يا ولدي!

ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، من لا يرحم لا يُرحم، إنما يرحم الله من عباده الرحماء، ولقد قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ومن أجمل أسماء الله تعالى، (وهي كلها جميلة): الرحمن الرحيم، وقد بلغ من رحمة الله بعباده أنه جعل الرحمةَ مئة جزءٍ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، وقد بلغ من رحمة النبي ﷺ بخادمته التي تأخرت عن تلبيته في بعض أموره أن قال لها: «لولا مخافة القصاصِ يوم القيامة لأوجعتكِ بهذا السواك»[١]!

يا سلام، ما أجملَ هذا الكلام!

لولا ماذا؟!

لولا خشية القصاص!

ولأوجعها بماذا؟!

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، ٢٣/ ٣٧٦.

بهذا السواك!

ومع ذلك لم يفعل معها النبي شيئاً رحمةً بها، وخشيةً من حساب الله تعالى يوم القيامة!

صلى الله على معلم الناس الخير.

يا ولدي!

لا تُعر كتابك لأحدٍ، فإنَّ الزوجةَ والسلاحَ والمركوبَ والكتابَ نفائسُ لا تُعار، فإن أبَيتَ إلا أن تعيرَ كتابك لأحدٍ فقل له:

إذا استعرتَ كتابي وانتفعتَ بهِ فاحذر ـ وُقيتَ الردى ـ من أن تؤخِّرَهُ
واردُدهُ لي سالماً إنِّي شُغِفتُ به لولا مخافةُ كتمِ العلمِ لم تَرَهُ!

يا ولدي!

جاء في تعريف الحكمة أنها: فِعلُ ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، على الشكل الذي ينبغي.

فمن اتخذ الحكمةَ سَناماً، اتخذهُ الناسُ إماماً، ومن أوتيَ الحكمةَ فقد أوتي خيراً عظيماً.

ومن الحكمة قولُ القائل: ما خاب من استشار، ولا ندم من استخار، وما استُنبطَ الصواب بمثل المشاورة، والرأيانِ أفضل من الرأي، والآراء أفضل من الرأيين، فالرأي الواحد

خيطٌ، والرأيان خَيطان، والآراء حبلٌ مجدولٌ، ومن شاور الناسَ فقد قطف ثمار عقولهم، ورحم الله المتنبي حيث قال:

الرأيُ قبل شجاعة الشجعانِ هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني
وهما إذا اجتمعا لنفسٍ حرَّةٍ نالت من العلياءِ كلَّ مكانِ
ولربما طعن الفتى أقرانَه بالرأي قبل تطاعُن الأقران
لولا العقولُ لكان أدنى ضيغمٍ أدنى إلى شرفٍ من الإنسانِ!

يا ولدي!

اثنان لا يغيِّران رأيهما أبداً: الجاهل والميِّت، فلا تتعنَّت، ولا تتشبَّث برأيك إن وجدتَ رأياً خيراً أو أصوَبَ منه، فالحكمة ضالَّة المؤمن، وأينما وجدها فهو أحقُّ بها.

وكان النبي ﷺ إذا حلف على يمين فرأى خيراً منها كفّر عن يمينه ثم أتى التي هي خير[١].

يحكى أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد ذات يوم أن يحدّد مهور النساء كي لا يُغاليَ الناسُ بها، فيشقَّ أمرُ الزواج على الشباب، فجمعَ الناسَ في المسجد وأخبرهم بما يريد أن

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، بلفظ: «لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفَّرتُ عن يميني ثم أتيت الذي هو خير». وحسنه الألباني.

يفعل، فقامت امرأةٌ عجوزٌ وقالت له: ليس لك ذلك يا ابنَ الخطَّاب! أما سمعتَ قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠]! أتدري كم هو القنطار يا عمر؟!

فتراجع عمر رضي الله عنه عما كان يريد أن يفعل وقال: أصابت امرأةٌ وأخطأ عمر!

يا ولدي!

يقول الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ويقول: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

فانظر إلى الناس، واعلم أنه ليس عليك هداهم، وما أنت عليهم بوكيل، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، فحساب الناس على خالقهم وليس عليك!

لا تحمل الناسَ على رأيك أو دينك حملاً، بل ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادِلهم بالتي هي أحسن، ولا تجادلهم جدلاً عقيماً يثير البغضاء والتشاحن، فقد

ضمن النبيُّ ﷺ بيتاً في الجنة لمن ترك الجدال وهو محقٌ فقال: «**أنا زعيمُ بيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المِراء وإن كان مُحقًّاً**»[١]، فما بالك بمن جادل على غير هدى ولا نورٍ ولا كتابٍ مبين؟!

يا ولدي!

كفى بالشيب واعظاً.

الشيب هو غبار السنين الذي لا يذهب عنك حتى يذهبَ بك!

قال الشاعر الحكيم:

ولقد رأيتُ صَبيَّةً فسترتُ شيبيَ بالخمارِ
قالت: غبارٌ قد علاكَ! فقلتُ: ذا غيرُ الغبارِ
هذا الذي نقلَ الملوكَ إلى القبورِ من الديارِ

يا ولدي!

سنُّ الشباب هو عهد تحصيل الحكمة، أما سن الكهولة فهو عهد ممارستها.

إذا كان الإنسان في العاشرة يفكر بالحلوى، وفي العشرين

---

(١) رواه أبو داود في «السنن»، ٤/ ٤٠٠. وحسنه الألباني.

تركبه النزوة، وفي الثلاثين يركع للشهوة، وفي الأربعين يغرق في الثروة، فمتى يطلب الحكمة؟!

يا ولدي!

يحكى أنَّ الخليفة المأمون العباسيَّ لما أشرف على الموت أمر بجلدٍ فَفُرِشَ له على الأرض، ووضع فيه الرماد، فسجد عليه وصار يمرِّغ خدَّيه فيه ويناجي ربه ضارعاً فيقول: **يا من لا يزول مُلكُه، ارحَم من زال مُلكُه!**

يا ولدي!،

انظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن!

يا ولدي!

سأل أحدهم رجلاً: هل تحب الموت؟

فقال: لا.

فسأله: ولِمَ؟!

فقال: لو عصيتُ آدمياً لم أجرؤ على لقائه، فكيف أجرؤ على لقاء الله وقد عصيتُه؟!

يا ولدي!

اشترى أسامة بن زيدٍ شيئاً ما على أن يدفع ثمنه بعد شهرٍ، فعلم النبي ﷺ بذلك فقال لمن حوله: **ألا تعجبون من أسامةَ**

المشتري إلى ما بعد شهر؟! إنَّ أسامة لطويل الأمل! والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننتُ أنَّ شفريَّ (جفنيَّ) لا يلتقيان حتى يقبض اللهُ روحي، ولا رفعتُ طرفي فظننتُ أني واضعه حتى أفيضَ، ولا لقمتُ (أكلتُ) لقمةً إلا ظننتُ أني لا أُسيغها (أبلعها) حتى أغصَّ بها من الموت[١].

يا بني آدم، إن كنتم تعقلون فعدُّوا أنفسكم من الموتى، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

يا ولدي!،

لما حضرت الوفاةُ الحطيئةَ الشاعرَ قال:

لكل جديدٍ لذةٌ غير أنني وجدتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ

ولكن: **لا بدَّ من الموت، فهيِّئ نفسك لتلك اللحظة.**

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

يا ولدي!

الموت هادم اللذّات ومفرِّق الجماعات، فأكثِر من ذكره،

---

(١) أخرجه ابن عساكر، وضعفه الألباني.

واعلم أنك صائرٌ يوماً إلى جنازةٍ تنقلك من سعة الحدائق والقصور، إلى ضيق اللحود وعتمات القبور، ولذلك أقول لك: تزوَّد.

تـزوّد لـلـذي لا بـدَّ مـنـهُ فإنَّ الموتَ ميقاتُ العبادِ
وتُب مما جنيتَ وأنت حيٌّ وكن متنبهاً قبل الرُّقادِ
ستندمُ إن رحَلتَ بغير زادٍ وتشقى إذ يناديك المنادي
أترضى أن تكون رفيقَ قومٍ لهم زادٌ وأنت بغير زادِ؟!
يا ولدي!

رأى أحد الصالحين ملَكَ الموت في المنام فسأله: أليس لك رسولٌ تبعثه إلى الناس قبل قدومك إليهم، ليعلموا أنَّ وقت قدومك قد اقترب، فيكونوا منك على حذرٍ، ولمجيئكَ على استعدادٍ؟

فقال ملك الموت: بلى، إنَّ لي رسلاً كثيراً، منها الأمراض والشيب والهرم، ومنها ضعف السمع والبصر، ومنها موت الأقارب والحبايب، فإذا لم يعرف من نزلَت به تلك الرسل أني قادمٌ إليه، وفوجئ بمجيئي قلتُ له وأنا أقبض روحه: ألم أُقدِّم لك رسولاً بعد رسولٍ، ونذيراً بعد نذيرٍ؟ فأنا

اليوم الرسولُ الذي ليس بعدي رسول، والنذيرُ الذي ليس بعدي نذير!

يا ولدي!

صدق الشاعر حين قال:

كلُّ ابنِ أنثى وإن طالت سلامتُهُ يوماً على آلةٍ حدباءَ محمولُ

وإنَّ التابوتَ يخاطب الإنسان بقوله:

انظُر إليَّ بعقلك أنا المهيَّأ لنقلك
أنا سريرُ المنايا كم سار مثلي بمثلك!

يا ولدي!

كان الإسكندرُ المقدونيّ اليوناني من أعظم ملوك الدنيا، وكان ذا عزٍ وسطوةٍ وهيبةٍ واقتدارٍ وثروةٍ هائلة، فلما مات وضعه أصحابه في تابوتٍ من الذهب، وجمعوا أمام تابوته فريقاً من الحكماء وقالوا لهم: ليتكلم كلُّ واحدٍ منكم بكلامٍ يكون فيه تعزيةٌ ووعظٌ.

فقال أوَّلُهم: أصبح آسرُ الأسرى أسيراً!

وقال الثاني: كان يخبئُ الذهبَ، فصار الذهبُ يخبِّئه!

وقال الثالث: كان يعظنا في حياته، وهاهو الآن يعظنا بمماته!

وقال الرابع: يا من غزوتَ الأرض وأنت على ظهرها، انظر كيف سيغزوك الدودُ وأنت في بطنها.

وقال الخامس: عجباً لمن نهايته الموتُ كيف يجري وراء الحطام البائد والهشيم الهامد!

وقال السادس: قد نضَّدنا الوسائد، وهيَّأنا الموائد، فأين أنت أيها القائد؟!

وقال الأخير: قد سكت الذي كنا ننصتُ لكلامه، فليتكلَّم الآنَ كلُّ ساكت!

يا ولدي!

العملَ العملَ، وإياك أن تكون من ذوي الأحلام الكبيرةِ والهممِ الحقيرةِ، واسمع معي قول الشاعر:

إذا تمنَّيتَ بِتَّ الليلَ مُغتبطاً إنَّ المُنى رأسُ أموالِ المفاليسِ

يا ولدي!

كان رجلٌ يصارع شهواتِ نفسه، فيغلبها تارةً وتغلبه أخرى، فحفر ذات مرةٍ قبراً في بيته واضطجع فيه وسأل نفسه: هَبي يا نفس أنك انتهيتِ إلى هذا القبر، ماذا تتمنين؟!

فقالت: أتمنى أن أرجع إلى الدنيا وأعملَ عملاً صالحاً وأتصدَّقَ وأفعلَ الخير.

فقال: يا نفسي، ها أنت اليوم في الدنيا، فاعملي عملاً صالحاً وتصدقي وافعلي الخيرَ الذي تريدين، فالدنيا دار العمل، وحين يأتيكِ الموتُ وتُنْزَلين في حفرةٍ كهذه فلا رجوع، ولا فائدة من كل التمنِّيات! وتذكَّري أنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

يا ولدي!

لا تغضب، فالحلم سيد الأخلاق.

إنك تخطو نحو الشيخوخة يوماً مقابل كلِّ دقيقة غضب، ولقد سأل النبي ﷺ أصحابه عن الصُّرَعةِ فقال: «**أتدرون من الصُّرَعَة؟!**» فقالوا: «**الصُّرَعة من يغلب الرجالَ ولا تغلبه الرجال. فقال: لا، ولكنَّه الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(١)].

يا ولدي!

الغضب غولٌ يأكل جُندَ العقل، وهو من جند إبليس، فإذا غضب المرء ضعفت عنده جنود العقل وقويت جنود الشيطان، واسمع هذه الحكاية مما ورد في الأثر:

يروى أنَّ إبليس لعنه الله لقيَ موسى عليه السلام، فقال له: يا موسى، إنَّ الله اصطفاك برسالته وكلَّمك تكليماً، وأنا خلقٌ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه».

من خلقه، أذنبتُ وأريدُ أن أتوب، فاشفع لي عند ربي أن يتوب علي.

ففرح موسى عليه السلام، ولما صعد لمناجاة الله تعالى قال: يا رب، إنَّ عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه. فأوحى الله إليه أن: يا موسى قد قضيتُ حاجتك! مُرهُ أن يسجد لقبر آدم حتى أتوب عليه.

فلما أخبره موسى بذلك، غضب إبليس وأخذته العزة بالإثم فقال: أنا لم أسجد له حياً، أأسجد له ميتاً؟!

ثم قال: يا موسى، إنَّ لك عليَّ حقاً بما شفعتَ لي عند ربك، فاسمع مني هذه الكلمات.

اذكرني عند ثلاثٍ، فإذا ذكرتني عندهنَّ لم أُهلِكَ فيهنَّ:

اذكرني حين تغضب، إذ عند غضبك تكون روحي في قلبك وعينك ولسانك ويدك، فإذا غضبتَ نفختُ فيكَ حتى لا تدري ماذا تصنع.

واذكرني عند الزحف ومجاهدة العدو، فإني آتي ابنَ آدم حين يلقى عدوَّه، فأُذكِّرهُ بزوجته وولده وأهله حتى يوليَّ الأدبار.

واذكرني حين تخلو بامرأةٍ لا تحلُّ لك، فإني رسولُها إليكَ

ورسولُك إليها، ولا أزال بكما حتى أفتنك بها وأفتنها بك إلى أن تقعا في الحرام.

يا ولدي!

كان أحد الأمراء إذا غضب اشتدّ غضبه حتى لا يعلم ما يقول ويفعل، فكتب ثلاث أوراقٍ وطواها وأعطاها لثلاثة رجالٍ يصحبونه دائماً، وقال للأول: إذا رأيتني اشتدَّ غضبي فناولني هذه الورقة.

وقال للثاني: إذا سكن بعض غضبي فناولني هذه الورقة.

وقال للثالث: إذا زال غضبي فناولني هذه الورقة.

وكان قد كتب في الورقة الأولى: اهدأ، فما أنت وهذا الغضب؟! إنك لستَ بإله، إنما أنت بشرٌ يوشك أن يأكل بعضُك بعضاً.

وكتب في الورقة الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

وكتب في الورقة الثالثة: احكم عبادَ الله بما جاء في كتاب الله، فلن يصلحك ويصلحهم إلا ذلك.

يا ولدي!

عاقب معاويةُ بنُ أبي سفيان الناسَ مرةً، فمنع عنهم

الأُعطياتِ المترتبةَ لهم في بيت مال المسلمين، فقام أبو مسلم الخولانيُّ حين كان يخطب وقال له: يا معاوية، إنَّ هذا المالَ ليس لك ولا لأبيكَ وأمِّكَ، فَلِمَ حبستَ عن الناس العطاء؟!

فظهر الغضب على وجه معاوية، ونزل عن المنبر، وتوجَّه نحو بيته بعد أن أومأ للناس أن يبقوا في أماكنهم، فظنَّ الناس أنه سيفتك بأبي مسلم، لكنه خرج بعد قليلٍ من بيته وصعد المنبر وقال: أيها الناس، إنَّ أبا مسلمٍ قال ما قالَ فأغضبني، وإني سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **إذا غضب أحدكم فليغتسل**[1]، **وقد اغتسلتُ وزال غضبي، وصدق أبو مسلم في ما قال، فالمال ليس مالَ أبي ولا مال أمي، فاغدوا إلى أعطياتكم فخذوها على بركة الله.**

يا ولدي!

لا ينبغي لامرئٍ شهد مقاماً فيه حقٌ إلا أن يتكلم به، فإنَّ ذلك لن يقدِّم من أجَلِهِ شيئاً ولن يؤخِّر، ولن يحرمه رزقاً هو له، والساكت عن الحق شيطانٌ أخرس، وأفضل الجهاد كلمة حقٍ عند سلطانٍ جائر، ولا يُشترط في قول الحق الفظاظة والغلاظة، بل على المرء أن يتَّبع أمر الله تعالى حين قال

(١) «كنز العمال»، ٣/ ٥١٩.

لـمـوسـى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٧ ـ ١٩].

يحكى أنَّ رجلاً قال للخليفة العباسيِّ هارون الرشيد: إني سأكلِّمك كلاماً فيه غلظةٌ فاقبَله مني!

فقال له هارون: إليك عني، إنَّ الله تعالى أرسل من هو خيرٌ منكَ إلى من هو شرٌّ مني، سفأمرَه بغير ما تريد أن تفعل! أرسلَ الله تعالى موسى وهارون إلى فرعون وقال لهما: [طٰه: ٤٤].

هل هناك أحسن من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟!

يا ولدي!

إنَّ أولَ ما دخل من النقص والتدهور على حال بني إسرائيل أنَّ الرجل منهم كان يلقى الرجلَ على حالةٍ من حالات المعاصي فيقول له: يا هذا اتقِ اللهَ ودع ما تصنعُ فإنه لا يحلُّ لك. ثم يلقاه من الغد وهو على معصيته نفسِها، فلا يمنعه ذلك من أن يكونَ أكيلَه وشريبَه وقعيدَه، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض. قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

فأمُر بالمعروف، وانهَ عن المنكر، فإنَّ الصلاح إذا عمَّ المجتمعَ أصابك وأصاب عائلتك منه خيرٌ كبير، وإذا عمَّ الفسادُ المجتمعَ أصابك وأصاب عائلتكَ منه شرٌّ كبير، فالمجتمع سفينةٌ كبيرةٌ شبَّهَ النبي ﷺ سلامتها أو هلاكها بقوله: «**مثلُ القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينةٍ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقال الذين في أعلاها: لا ندعهم يصعدون فيؤذونا. وقال الذين في أسفلها: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**»[1].

يا ولدي!

إذا خان الأمير وكاتِبوهُ وقاضيه استباح عُرى القضاءِ
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماءِ

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، ٢/ ٨٨٢.

يا ولدي!

سأل أحدهم لقمان الحكيم: أيُّ الخصال في الإنسان خير؟!

فقال: الدِّين.

قال: فإن كانتا اثنتين؟

قال: الدِّين والمال.

قال: فإن كانتا ثلاثاً؟

قال: الدين والمال والحياء.

قال: فإن كانت أربعاً؟

قال: الدين والمال والحياء وحُسنُ الخُلُق.

قال: فإن كانت خمساً؟

قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء.

قال: فإن كانت ستاً؟

قال: إذا اجتمعت تلك الخصال في إنسانٍ فهو تقيٌ نقيٌ، لله وليٌّ ومن الشيطان بريّ.

يا ولدي!

قال ملكٌ لوزيره: ما خير ما يُرزَقه الإنسان؟

قال: عقلٌ يعيش به.

قال: فإن عدِمه؟

قال: أدبٌ يتحلى به.

قال: فإن عدمه؟

قال: مالٌ يستره.

قال: فإن عدمه؟

قال: فصاعقةٌ تحرقه وتريح منه البلاد والعباد!

يا ولدي!

القناعة كَنْزٌ لا يفنى.

ورد في بعض الآثار أنَّ داوود عليه السلام دخل غاراً في جبلٍ مهجورٍ، فوجد فيه رجلاً ميتاً وعند رأسه لوحٌ مكتوبٌ عليه: أنا الملك فلانٌ بن فلان، عشتُ ألف عامٍ، وبنيتُ ألف مدينةٍ، وتزوجتُ ألف امرأةٍ، وهزمتُ ألف جيشٍ، ثم صرتُ في هذا الغار، فطلبتُ خبزاً فلم أجد، وبحثتُ عن شيءٍ آكله فلم أجد، وكان معي من الجوهر شيءٌ كثير، فلم تُغنِ عني جواهري شيئاً، فدققتُها وسفَفتُها فمتُّ في هذا المكان، فمن أصبح وعنده رغيفُ خبزٍ فليحمد الله، ومن لم ير نفسه أغنى الناسِ برغيف الخبز أماته الله كميتتي هذه!

يا ولدي!

كان أحد الصالحين يبلُّ الخبزَ اليابس بالماء ويأكله ويقول: من قنع بمثل هذا لم يحتج إلى أحد!

وكان الشاعر يقول:

أفادتني القناعة كلَّ عزٍّ وأيُّ غنىً أعزُّ من القناعه؟!
فصيِّرها لنفسكَ رأس مالٍ وصيِّر بعدها التقوى بضاعه
يا ولدي!

لا يدفعنَّك خلافك مع الآخرين لإنكار فضائلهم ومزاياهم، فلقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

جاء رجلٌ في أيام معركة صفِّين إلى معاوية بنِ أبي سفيان وقال له: ألحِقني بجُندِكَ فقد جئتُك من عند أجبن الناس وأبخلِهم وألكنِهم.

فسأله معاوية: من تعني بهذا؟!

فقال: أعني علياً بنَ أبي طالب!

فقال معاوية: كذبتَ يا فاجر! فأما الجُبنُ فلم يعرف إلى قلب عليٍّ سبيلاً، وأما البخل، فلو كان عند عليٍّ بيتان: أحدهما من تبرٍ والآخر من تبنٍ، لأنفق تبره قبل تبنه، وأما اللّكن، فما رأيتُ أحداً يخطب أحسن من عليٍّ إذا خطب! قم، قبَّحكَ اللهُ ما أكذبك.

يا ولدي!

اكتم سرَّك، فمن كتمَ سرَّه كانت الخيرَةُ في يده، وإياك ومواطن الاتهام، ورحم الله امرأً جبَّ المغيبةَ عن نفسه، ومن أقام نفسه مقام التهمةِ فلا يلومنَّ من أساء الظنَّ به، وضع أمر أخيك على الظنّ الحسن، والتمس له ولو سبعين عذراً، وابحث عن إخوان الصدق، فإنهم زينةٌ عند الرخاء، وعصمةٌ عند البلاء، واعلم أنَّ الزمان يأتي على كل شيءٍ فيمحوه ويمحو آثاره، ولا يبقى من الأفعال إلا ما رسخ في قلوب العباد، فأودع في قلوب الناس محبةً أبديةً، يبقى بها حُسنُ ذكركَ وكريمُ فعلكَ وشريفُ أثرك.

يا ولدي!

مَن كثُر ضحكه قلَّت هيبته، ومن كثُر مزاحُه استخفَّ به الناس، ومن كثُرَ كلامُه كثُر غلطُه، ومن كثر غلطُه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعُه، ومن قلَّ ورعُه مات قلبُه، وماذا يبقى من الإنسان المؤمن إذا مات قلبُه؟!

لا أقول لك: لا تمزح! بل امزح، ولكن اقتصد في المزاح، لأنَّ الإفراط فيه يُذهب عنك البهاء، ويجرِّئ عليك السفهاء، ومجافاةُ المزاح والتقصيرُ فيه يفضُّ عنك المؤانسين،

ويوحشُ عنك المصاحبين، وقد ورد عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول: **أجمّوا هذه القلوبَ، أي روّحوها، فإنها تملّ كما تملّ الأبدان.**

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: **إني لأجمّ فؤادي ببعض اللهو لأنشط للحق.**

يا ولدي!

كان النبي ﷺ يمازح أصحابه مزاحاً لطيفاً ظريفاً، ولم يكن في مزاحه يقول غيرَ الحق.

يروى أنَّ امرأةَ أتتْ رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله احمِلْنا على بعير. فقال: «**أَحْمِلُكُمْ على وَلَدِ الناقةِ**». قالت: وما نَصْنَع بولدِ الناقةِ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**هل تَلِدُ الإبِلَ إلا النُّوقُ!**»[١].

ويروى أنَّ امرأةً عجوزاً جاءت إليه وطلبت منه أن يدعوَ اللهَ أن يُدخلَها الجنة، فقال لها النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**لا تدخل الجنة عجوزٌ!**»[٢] فحزنت العجوز، فابتسم ﷺ،

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داود، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه رزين، ورواه ابن الأثير في «جامع الأصول من أحاديث الرسول»، ١١/ ٨٥٢٣.

وبيّن لها أنَّ الله تعالى يردُّ العجائزَ شباباً وصبايا في مقتبل العمر، ثم يدخلهم ويدخلهنَّ الجنة، وذكر لها قول الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٨].

كما يروى أنَّ امرأةً جاءت إليه لتسأل عن زوجها، فقال لها: من زوجك؟ هل هو الذي في عينيه بياض؟! فقالت: لا، فليس في عيني زوجي بياض. فضحك النبي ﷺ وقال: «**وهل من عينٍ إلا وفيها بياض؟!**»[1].

يا ولدي!

إنَّ الخِبرة هي المشط الذي تعطيك إياه الحياةُ بعد أن تكون قد فقدتَ شَعرك!

يا ولدي!

إذا وجد الشيخُ في نفسهِ نشاطاً فذلك موتٌ خفي
ألستَ ترى أنَّ ضوءَ السراجِ لهُ لَهَبٌ قبلَ أن ينطفي!

يا ولدي!

يعمَّرُ واحدٌ فيَغُرُّ قوماً ويُنسى من يموتُ من الشبابِ!

---

(١) «جامع الأصول من أحاديث الرسول» لابن الأثير، ١١/٨٥٢٣.

يا ولدي!

عليك بالرياضة، فإنَّ في الرياضة حياة، وأكثر من المشي والجري والسباحة، فقد أوصى النبي ﷺ بتعلُّم السباحة والرماية وركوبِ الخيل، وهي وما يشبهها من الرياضات رياضاتٌ نبيلةٌ قوية، تحيي الجسمَ وتُبهج الروحَ وتزيد الشهامة، وتدفع المرءَ إلى درب البطولة والرجولة، ولا تنس أنَّ العقلَ السليمَ يحتاج إلى جسمٍ سليمٍ، ليتعاونا معاً على السير في درب الحياة بنجاحٍ وفلاح.

يا ولدي!

ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شراً من بطنه، فاحرص على أن لا تملأ هذا الوعاء، فالمعدة بيت الداء، وحمايتها من فتك الطعام بها رأس كل دواء، وإن استطعتَ أن تقوم عن الطعام قبل أن تشبع شبعاً كاملاً فقُم، فقد قال النبي ﷺ: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنٍ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنَفَسه**»[1] لأنَّ الشبع الذي يؤدي إلى التخمة والمرض شبعٌ مؤذٍ لا خير فيه، بل فيه ضررٌ كبير.

---

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.

فإذا استطعتَ أن تقسم بطنك حسب وصية النبي ﷺ إلى: ثلثٍ للطعام، وثلثٍ للشراب، وثلثٍ للنَفَس، فافعل، واعلم أنَّ البِطنَةَ تُذهبُ الفِطنة، وأنَّ الخوفَ على البدن من كثرة الطعام، أكبر من الخوف عليه من قلة الطعام.

يا ولدي!

إذا أكلتَ فسمِّ اللهَ الرحمنَ الرحيم، وكُل بيمينكَ، وكل مما يليكَ، وحسبُك لقيماتٍ يُقمنَ صلبك، وأنصت لقول الشاعر الحكيم:

ثلاثٌ هنَّ مَهلَكَةُ الأنامِ وداعيةُ الصحيح إلى السقام:
دوامُ مُدامةٍ ودوامُ وَطءٍ وإدخالُ الطعامِ على الطعامِ!

يا ولدي!

احذر هروبَ النعمة، وأكرِم جوارَها، فإنَّ النعمةَ إذا فرَّت قلَّ أن ترجع، وليس كلُّ شاردٍ بمردود.

وأدِّ حقَّ الله في نعمه، فمن أدى هذا الحقَّ فقد حفظ النعمة، ومن لم يؤدِّهِ فقد عرَّضها للزوال، ومن أولِّ حقوق الله أن لا تعصيه بالنعم التي آتاك إياها.

هل يُعقلُ أن يمنحك الصحةَ والمالَ والعقلَ والجاه،

فتستخدمَ تلك النعمَ للعبث والفسق والمجون والبطش والنصبِ وظلمِ الآخرين؟!

يا ولدي!

جاء رجلٌ إلى إبراهيم بنِ الأدهم، (وهو رجلٌ من الصالحين)، وقال له: يا إبراهيم، إني رجلٌ مسرفٌ على نفسي، منغمسٌ في الذنوب والمعاصي، فعِظني بما يكون فيه رادعٌ لي عن ذلك.

فقال إبراهيم: إني سأعرض عليك خمس خصالٍ، إن قدِرتَ عليها أو على واحدةٍ منها لم تضرَّكَ المعاصي أبداً، فافعل ما تشاء.

قال الرجل: هذا جميل. هات يا أبا اسحاق.

قال إبراهيم: إذا أردتَ أن تعصيَ اللهَ فلا تأكل من رزقه شيئاً.

قال الرجل: فمن أين آكل إذن، وكلُّ ما في الأرض من رزقه وإنعامه؟!

قال إبراهيم: أيحسُن بك أن تأكلَ من رزقه وتعصيه؟ هذا لؤمٌ واضح. ألم تسمع قول الشاعر:

تعصي الإلهَ وأنت تأكلُ رزقَه هذا لعمري في الزمان عجيبُ!

قال الرجل: هذه صعبةٌ. هاتِ غيرَها يا أبا إسحاق.

قال إبراهيم: إذا أردتَ أن تعصيَ الله فلا تسكن في بلاده.

قال الرجل: هذه أصعب من الأولى! وأين أسكن إذن وكلُّ الكون بلاد الله؟!

قال إبراهيم: إذن، إذا أردتَ أن تعصيَه وأنت تأكل رزقه وتسكن بلادَه، فاعصِهِ في مكانٍ لا يراك فيه.

قال الرجل: ما هذا يا أبا إسحاق؟! وأين أجد مكاناً لا يراني فيه ربي، وهو الذي يعلم ما في الصدور، ويرى ما في القلوب من السرائر والغيوب؟!

قال إبراهيم: إذن، إذا أتاك ملك الموت ليقبض روحك فلا تذهب معه. قل له: اتركني، أريد أن أبقى في هذه الدنيا، أو قل له: أمهِلني حتى أتوبَ وأعملَ صالحاً.

قال الرجل: لا يقبلُ مني ملكُ الموت هذا الكلام! إذا جاء الأجل فلا تقديمَ ولا تأخير.

قال إبراهيم: فإذا كان يوم القيامة، وجاءتك ملائكة العذاب ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم. اهرب منهم أو تمرَّد عليهم!

قال الرجل: هيهات هيهات، إنهم ملائكةٌ شدادٌ غلاظٌ، لا يعصون اللهَ ما أمَرهم ويفعلون ما يؤمرون.

قال إبراهيم: فكيف تعصي الله إذن وأمامكَ كلُّ هذا؟!

فقال الرجل: كفاني يا أبا إسحاق، أستغفر الله العظيم.

يا ولدي!

لا تدَّعِ العلمَ ادعاءً، فإنَّ الجهولَ كلَّ الجهلِ من زعم أنه يعلم وهو لا يعلم.

وقد قيل: الناس أربعةٌ: رجلٌ يعلم ويعلمُ أنه يعلم، فذلك عالمٌ فاتَّبعوه، ورجلٌ يعلم ولا يعلم أنه يعلم، فذلك نائمٌ فأيقظوه، ورجلٌ لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم، فذلك جاهلٌ فعلِّموه، ورجلٌ لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم، فذلك شيطانٌ فاجتنبوه[١].

يا ولدي!

لا تستحِ من الاعتراف بجهلك إن كنتَ تجهل قضيةً ما، فليس عليك أن تعلم كلَّ شيء، ولقد سئل الشَّعبيُّ عن مسألةٍ فقال: لا علمَ لي بها. فقال له رجل: ألا تستحيي من هذا الجواب؟ فقال: كيف أستحيي من جوابٍ لم تستحِ منه

(١) كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي، ١/ ١٨٤.

الملائكة الكرام حين أجابت ربها ﷻ بقولها: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]!.

يا ولدي!

سأعطيك في الصفحات التالية مجموعةً من الحكم المختصرةِ جداً، المفيدةِ جداً، فكن من الذين يستمعون القولَ فيتَّبعونَ أحسنه، فإن اتبعتَ ما أوصَيتُكَ به في هذا الكتاب، وأحكَمتَ سَيركَ على الصراط المستقيم في أمور دينك ودنياك، فحصِّن نفسك بآياتِ الله التامة، من كلِّ شيطانٍ وهامَّة، ومن كل عينٍ لامَّة، وبـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ ـ ٥]، و: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٦].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلامٌ مختَصَرٌ جداً، مُفيدٌ جداً

يا ولدي!

إذا جعلتَ نفسك دودةً، فلا تلم من يدوسك بقدمه، واعلم أنه لا يستطيع أحدٌ أن يركب ظهرك إلا إذا كنت منحنياً.

يا ولدي!

حارب عدوَّك بالسلاح الذي يخشاه هو، لا بالسلاح الذي تخشاه أنت.

يا ولدي!

الانسحابُ الجيدُ خيرٌ من المقاومة السيئة.

يا ولدي!

إذا ضربتَ فأوجِع، فإنَّ الملامة واحدة.

يا ولدي!

صادِق حتى الذئابَ والكلابَ، ولكن: ليكُن فأسُكَ جاهزاً دائماً.

يا ولدي!

هيئ قوسَك، وأطلق السهمَ عندما تريد.

يا ولدي!

إذا اختبرتَ إنساناً فوجدته لا يصلح أن يكونَ لك صديقاً، فلا تجعله لك عدواً.

يا ولدي!

لا تجادل الأحمق، فقد يخطئ الناس في التفريق بينكما.

يا ولدي!

لا تتحَدَّ إنساناً ليس لديه شيءٌ يخسره.

يا ولدي!

إذا أحببتَ أن تحصل على ما تشتهي، فاشتهِ ما يمكنك الحصول عليه.

يا ولدي!

لا تطعن في ذوق زوجتك، فقد اختارتك بهذا الذوق.

يا ولدي!

إذا لم يكن في حوزتك إلا مطرقة، فستتعامل مع كل شيءٍ على أنه مسمار!

يا ولدي!

لا تُضيِّع ثانيةً من وقتك بالتفكير في الذين تبغضهم، وقتُك أغلى من أن تنفقه عليهم.

يا ولدي!

إذا كان رأسُك من شمعٍ، فلا تمشِ في الشمس، وإذا كان بيتُك من زجاجٍ، فلا ترمِ الناسَ بالأحجار.

يا ولدي!

اقرأ التاريخَ إذ فيه العِبَر ضاعَ قومٌ ليس يدرون الخبر!

يا ولدي!

كلما اعتلى القردُ فوق الشجرة، انكشف المزيد من مؤخرته.

يا ولدي!

عندما يتَّفق اثنانِ في كلِّ شيءٍ، فأحدُهما زائدٌ لا ضرورة له.

يا ولدي!

يهَبُ الله كلَّ طائرٍ رزقَه، ولكنه لا يلقيه له في العش!

يا ولدي!

إذا خانك أحدهم مرَّةً فالذنبُ ذنبُه، وإذا خانك مرةً ثانيةً فالذنبُ ذنبُك.

يا ولدي!

الناس للناس من بدوٍ وحاضرةٍ بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خدمُ

يا ولدي!

لو زرعتَ (لو) و(ليتَ)، سينبتُ لك (لا شيء).

يا ولدي!

المتكبر يشبه رجلاً ينظر إلى الناس وينظرون إليه من بعيد، فيراهم صغاراً ويرونه صغيراً.

يا ولدي!

حُبُّ الظهور يقصم الظهور.

يا ولدي!

الإنسان الذي لا رأيَ له يشبه قبضةَ الباب، يستطيع أن يُديرَها كلُّ من يشاء.

يا ولدي!

العقل كمظلة الطيار، لا تنفعُ إلا عندما تُفتَح.

يا ولدي!

أن يسقطَ الإنسان، هذا ليس فشلاً، ولكنَّ الفشلَ أن يبقى الإنسان حيث سقط.

يا ولدي!

الآراء كالمسامير، كلما طرقها الإنسانُ ازدادت عمقاً.

يا ولدي!

من كان لا يبصرُ غيرَ محاسنِ نفسه ومساوئِ غيره، فالضريرُ خيرٌ منه.

يا ولدي!

ازرَع جميلاً ولو في غيرِ موضِعِهِ ما خابَ قطُّ جميلٌ أينما زُرِعا

يا ولدي!

لا خيرَ في السَّرَفِ، ولا سَرَفَ في الخيرِ.

يا ولدي!

من استحلى رَضاعَ الكذِبِ عَسُرَ فِطامُه.

يا ولدي!

بئرُ الشهواتِ لا قعرَ له.

يا ولدي!

إذا لم تعلم إلى أين أنت ذاهبٌ، فكلُّ الطرقِ تفي بالغرض.

يا ولدي!

أفضل وسيلةٍ لتحقِّقَ أحلامَكَ هي أن تستيقظ من النوم.

يا ولدي!

يُختَبَرُ الذهبُ بالنار، وتُختَبَرُ المرأةُ بالذهب، ويُختبَر الرجلُ بالمرأة.

يا ولدي!

الحياة عبءٌ ثقيلٌ على بعضِ الناس، وبعضُ الناس عبءٌ ثقيلٌ على الحياة.

يا ولدي!

تستطيع أن تحكم على الإنسان من أسئلته أكثر مما تحكم عليه من أجوبته.

يا ولدي!

الفرق بين الجاهل والحمار، أنَّ الحمارَ يُستفاد منه في أمورٍ يعجز الجاهل عن القيام بها.

ما قَبلَ الخاتمة

ولدي الحبيب،

لو أردتُ أن أهديك شيئاً من متاع الدنيا لهان الأمر كثيراً، فالأسواق مملوءةٌ بالطيِّب من الطعام، وباللَيِّن من اللباس، وبالهنيء من المركوبات، وبالمُبهج من الألعاب والمسرَّات.

لكنَّ كلَّ ذلك يفنى ويزول، ويذروه الزمان هباءً منثوراً!!

لذلك استعضتُ عن الفاني بالباقي: كلمةٌ طيبةٌ كشجرةٍ طيبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء، تؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربها، وجعلتُ شعاري وأنا أكتب هذا الكتاب: إلهي أنت مقصودي ورضاكَ مطلوبي، وأنا أعرف أنَّ الشاعر قال:

الخطُّ يبقى زماناً بعد صاحبهِ وصاحبُ الخطِّ تحت الأرض مدفونُ

ولهذا، وليكون الخطُّ الذي يبقى بعد موتي سراجاً منيراً مرشداً يهديك إلى سواء السبيل، فقد سهرتُ الليالي، وقلَّبتُ الصفحات، وقطفتُ لك ما لذَّ للقلب والعقل من كرائم آيات الله تعالى، وجوامع كلماتِ رسول الله ﷺ، وروائع ما جادت

به قرائح الشعراء وومضات الحكماء وعقول المفكرين، فكافئني بالمثل، واسهر لتحفظ هذه الدررَ اليتيمةَ والخرائدَ الكريمة، المقطوفةَ من منابع الحكمة العليا، وانقل ما في هذا الكتاب من أسطرٍ مكتوبةٍ، إلى أعمالٍ مجسَّدةٍ تسرُّ الناظرين.

أنا لا أومن بقول الشاعر:

أرى ولد الفتى ضرراً عليه لقد سعد الذي أمسى عقيما
فإما أن يربِّيَه عدواً وإما أن يخلِّفه يتيما
وإن أن يوافيَه حِمامٌ فيتركَ حزنَه أبداً مُقيما

قلتُ لك: أنا لا أؤمن بهذا الكلام، لكنني أؤمن بأنك فلذةُ كبد، بك بشَّر الله تعالى، وحاشا أن تطيش بشارة رب العالمين.

أنت زينة الحياة الدنيا، فكن كذلك حقاً وصدقاً، ولا تنقلب إلى فتنةٍ أو بلاءٍ، ولن تكون زينةَ الحياتين: الدنيا والآخرة، إلا إذا كنتَ واثقَ الخطوةِ، طويلَ الباعِ، عميقَ الأثر في دروب الخيرِ والصلاحِ والهدايةِ والنورِ والطهرِ والإيمان، عندها يفرح بك القلب، وتقرُّ بك العين، وتنشرح بك الصدور، وتنحلُّ بك العُقد والأمور، وتكون في الدنيا من الأكابر، وفي الآخرة مع الصالحين، وحَسُن أولئك رفيقاً.

ولاحظ يا ولدي أنَّ في هذه الحكم الخالدة علاجاً لأمور دنياك أيضاً، فمدرسة الحياة مدرسةٌ كبيرةٌ وخطيرة، فعليك أن تعيش فيها بعينٍ مفتوحةٍ وذهنٍ متيقِّظ، وأن تمشي فيها كما قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لستُ بالخِبِّ، والخبُّ لا يخدعني.

إنَّ من تمام دينك أن تكون ناجحاً في دنياك، لأنَّ المؤمن الحقَّ هو الإنسانُ القويُّ المجتهدُ الناجحُ الفالحُ المبدعُ المبتكرُ، المواكبُ لعلوم عصره، السابقُ لأقرانه في دروب العلم والعمل، صاحبُ اليد العليا في كل شيء، النجمُ الذي يهتدي به من ضلَّ عن سواء السبيل.

هذا المؤمن هو طِلبة المجتمع الإسلامي، وهو لبنته القوية، وحجر زاويته وركنُه الركين.

أما الإنسان الفاشل المهزوم الضعيف الذليل المتخاذل المتخلف الغبي المخدوع المتآكل المتواكل المسحوق الهارب من خضم الحياة، الملصَق على هامش ذيلها، فهو عبءٌ على مجتمعهِ، همٌّ في قلب أمته، وعليه إن أراد أن يكون إنساناً سوياً يفخر به أحبابه، أن يبادر فوراً إلى تحسين وضعه وتطوير إمكاناته، وبناء نفسه بناءً قوياً يمكِّنه من تجاوز العقبات التي

تعترض طريقه، ليبرهن لنفسه وللآخرين أنه يعمل وبين عينيه القول المأثور:

من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يومه شراً فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان، ومن كان في النقصان فالموت خيرٌ له، ومن اشتاق إلى الجنة سارعَ في الخيرات، ومن أشفق من النار لهى عن الشهوات، ومن ترقَّب الموتَ هانت عليه اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات. ورحم الله الشاعر حيث قال:

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصانُ وربحُه غيرَ محضِ الخير خُسرانُ

أدعو لك برعاية الله وتوفيقه، فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود، واجعل مع الدعاء قطراناً.

أتدري معنى (اجعل مع الدعاء قطراناً)؟!

جاء رجلٌ إلى عمر بنِ الخطاب رضي الله عنه وقال له: لقد جرِبت جِمالي، فادعُ اللهَ أن يشفيَها. فقال سيدنا عمر: سأدعو الله أن يشفيَها، ولكن: اجعل مع الدعاء قطراناً! (والقطران نوعٌ من الدواء لمعالجة الجرب).

❋ ❋ ❋

ولدي الغالي،

عَوداً على بدءٍ، ها قد أعطيتُك بعض ما قد يساعدك على عبور القنطرة نحو كمال شخصيتك ورجولتك وإيمانك، فأعنِّي على نفسك بكثرةِ السجود، واجعل مع الدعاء قطراناً.

التوقيع: أبوك

الخاتمة

وبعدُ، فقد لاحظَ من لاحظَ من الإخوة القرَّاءِ أني جمعتُ هذه الحكم من وحي وهدي كتاب الله تعالى، ومن أحاديث النبي ﷺ، ومن الأثر الصالح في تاريخنا الإسلامي القديم والحديث، ومن الأدب الجمِّ في كتب الأدب والشعر وسِيَرِ الصالحين، إضافةً إلى استثناءاتٍ جميلةٍ وجدتها هنا أو هناك، فأوردتُها في مكانها المناسب، متخذاً شعاراً رائداً من قول النبي ﷺ: «**الحكمة ضالَّةُ المؤمن، أينما وجدها فهو أحقُّ بها**»[1].

والجوُّ العامُّ لهذا الكتاب مستمدٌ من التوجيه الديني الإسلامي، سواءً كان إلهياً أو نبوياً أو صادراً عن أحد الصالحين، لأنَّ الهدف الإجمالي لهذا الكتاب هو التركيز على التربية السليمة، وإحياءُ الضمير الديني في نفس الإنسان، طفلاً كان أم يافعاً.

---

(١) أخرجه الترمذي في «السنن»، ٥/ ٥١. وضعفه الألباني.

وأركِّز هنا على كلمة (الضمير الديني)، لأني لا أؤمن بوجود ضميرٍ حيٍّ إن كان بعيداً عن الفكر الدينيِّ ومستنداته، فالضمير من حيث المبدأ هو قوةٌ فطريةٌ موجودةٌ في الإنسان منذ أن خلقه الله، لكنَّ هذه القوة تتغير وتتلون بحسب ما تغذى به من ثقافةٍ وتربيةٍ وبيئةٍ ووراثةٍ ونصائحَ وتوجيهاتٍ، وهي تختلف في الشخص نفسِه من سنٍّ لآخر، ومن ظرفٍ لآخر، ومن بيئةٍ لأخرى، وتلعب فيها دوراً كبيراً كلٌّ من: الثقافةِ ونوعِها، والأصدقاءِ ومسلكِهم، والمعلمين وطرقِهم في زرع القيم على اختلاف أنواعها.

والدليل على أنَّ الضمير قوةٌ متغيرةٌ من مجتمعٍ لآخر، أنَّ اليونايين والرومانَ وعربَ الجاهليةِ ومعظمَ المجتمعاتِ القديمةِ كانوا يرون الرقَّ واستعبادَ الآخرين أمراً مشروعاً، وكانوا يجدون أنه من الطبيعي أن يُباعَ في الأسواق رجالٌ ونساءٌ وأطفال، وأن يُعامَلوا معاملة البهائم.

والعرب في الجاهلية كانوا يرون من حقهم الطبيعي أن يرثَ الولد امرأة أبيه كما يرثُ ذهبه وسجَّادَه، ولم يكن يتحرك في نفوسهم وخز الضمير، لأن الضمير في وقتهم تربى على صحةِ ذلك وجوازِ القيام به.

ومن هنا نرى أنَّ المقاييس التربوية لا يمكن أن تكون ثابتةً وواضحةً ومستقرةً إلا إذا ارتبطت بقيودٍ ثابتةٍ وواضحةٍ ومستقرة، ولا أعلم بين قوانين العالم كلِّها أثبتَ وأوضحَ وأكثر استقراراً من قانون الله ﷻ، المرسَلِ من السماء إلى الأرض هدى للناس ورحمةً للعالمين!

لذا وجب ربطُ ضمير الإنسان بهذا القانون، ليكون لهذا الضمير دربٌ واضحٌ وطريقٌ نيِّرٌ وبرنامجٌ مستقر، وهذا ما فعلتُه لدى كتابتي لهذه الحكمِ التربويةِ الخالدةِ الرائدةِ، إذ دعمتُ كلَّ نصيحةٍ أو حكمةٍ بمستندها الشرعي من آيةٍ كريمةٍ أو حديثٍ شريف، صراحةً أو تضميناً، ليتَّضح للقارئ مدى تلازم وتلاحم حاجة الأرض مع وحي السماء.

وموضوعٌ كهذا الذي أعالجه في هذا الكتاب بحرٌ واسعٌ لا حدود له ولا ضابط لحجمه، فمكارم الأخلاق قد يكون لها بداية، ولكن ليس لها نهاية، ومع تنوُّع الفضائلِ والمسالكِ والمشاربِ الثقافيةِ والتربويةِ، يمكن أن تتنوع النصائح الموجَّهةُ، بل وحتى يمكن أن يتنوع الناصحون والموجِّهون.

وقد استطعتُ بفضل الله تعالى أن أضيفَ إلى هذا الكتاب كتاباً آخر يشبهه في الهدف، وسمَّيتُه: «يُحكى أنَّ»، وأرجو الله

أن يمكِّنني من إصدار أخٍ ثالثٍ لهذين الكتابين، ففي بالي كتابٌ بعنوان: «أحلى الكلام»، فإن أعانني الله على إصداره، أكون قد حققتُ حلماً قديماً، والأحلام كبيرةٌ والآمال كثيرة، ومنا القصد وعلى الله الاتكال، ومنه وبه التوفيق والسداد.

أتمنى على الله ﷻ أن يجعل كتابي هذا (وبقية كتبي) صدقةً جاريةً في صحيفتي، وعلماً يُنتفعُ به بين الناس، وأن يساهم في صناعة جيلٍ صالحٍ يدعو لي، وبذلك أكون قد جنيتُ ثلاثة قطافٍ بشَّر بها النبي ﷺ بقوله: «**إذا مات ابنُ آدم انقطع عملُه إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»[1] وأيُّ ثوابٍ من الله الكريمِ خيرٌ من هذا الثواب؟!

أقول قولي هذا، وأستغفر اللهَ العظيم، وسلامٌ على المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور المهندس أنور وردة

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه».

صَدَر للمؤلِّف

يا ولدي!

كتابٌ يحوي حكماً تربويةً خالدةً مستقاةً من كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله الكريم وحكايا الصالحين وأشعار الحكماء وأقوال البلغاء، فيه خبرةٌ عميقةٌ تعين الإنسان على اجتياز درب الحياة الصعب، وتزوده بكثيرٍ مما يلزمه من دروس الحياة، بأسلوبٍ عذبٍ يطغى فيه الشعور بالمتعة والفائدة على نفس القارئ، ويقوده من صفحة إلى أخرى بدون كللٍ أو ملل.

منشورات دار غار حراء ـ دمشق ـ سوريا.

سراج الصالحين

كتابٌ يتحدث بشكلٍ أدبيٍ شاعريٍ عن بعض أفكار مفتي سوريا الراحل الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله، ويحاول أن يجسد طريقته في عرض الإسلام الوسطيِ المعتدل المتمسك بثوابت الإسلام وقطعياته الأساسية.

يحكى أنَّ..

يحوي هذا الكتاب أروع القصص الهادفة المحمَّلةِ بالحكمة والعبرة والموعظة، سواءً منها القصص التاريخية التراثية الثمينة، أو القصص المعاصرة التي جادت بها قرائح المبدعين.

منشورات دار غار حراء ـ دمشق ـ سوريا.

حوارٌ لا شجار

كتابٌ يناقش بعض الفتاوى والأفكار التي طرحها الشيخ محمد حبش في بعض كتبه، وانتقده بسببها بعض كبار علماء العالم الإسلامي، ووصف الشيخ أحمد كفتارو تلك الأفكار والفتاوى بأنها (خاطئة وشاذة)، ووصفها الدكتور محمد سعيد البوطي بأنها (تقود إلى الكفر)، وقال عنها الدكتور وهبة الزحيلي (إنها تصادم ما تعلمناه عن الشريعة الإسلامية).

للحوار بقية

يتابع هذا الكتاب رصد وتفنيد الأفكار العجيبة التي طرحها الشيخ محمد حبش في بعض كتبه، كفكرة احتكار المسلمين للخلاص في الآخرة، وفكرة دراسة إخفاقات

الأنبياء، وفكرة مكافحة الغلو السائد في مفهوم المسلمين للنبوة، وفكرة وجود آياتٍ ظالمةٍ في القرآن الكريم.

منشورات دار غار حراء ـ دمشق ـ سوريا.

مسلمون ومسيحيُّون في مواجهة التحديات

كتابٌ يرصد مجموعةً من الخبرات والتجارب السلبية والإيجابية في العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين، للاستفادة من الإيجابي، واجتناب السلبي.

هذا الكتاب يناقش بشفافيةٍ وصراحةٍ عدة محاور شائكةٍ وشائقةٍ في آنٍ معاً.

منشورات دار غار حراء ـ دمشق ـ سوريا.

الاجتهادُ بين التجديد والتفريط

يحاول هذا الكتاب أن يضع الضوابط الواضحة للمعادلة الدقيقة التي تفصل بين الاجتهاد الذي يهدف إلى تقديم الحلول الشرعية للحوادث المستجدة في حياة المسلمين، وبين المزاعم التي تهدف إلى التفلُّت والتملُّص من الضوابط الشرعية والأوامر الربانية بدعوى (الاجتهاد)، في حين أنَّ الاجتهاد من ذلك براء!

منشورات دار الرشيد ـ دمشق ـ سوريا.

مسجدُ وطن

يبحث هذا الكتاب في الدور المنوط برجال الدين لخدمة القضايا الوطنية الكبرى، منطلقاً من حادثة اغتيال رئيس وزراء لبنان السابق رفيق الحريري رحمه الله، وما تلا ذلك الاغتيال من أحداثٍ جسيمة عصفت بالمنطقة العربية عصفاً شديداً.

منشورات دار غار حراء ـ دمشق ـ سوريا.

هاوي مشاكل

كتاب لطيف يتنقل فيه الكاتب بين مجموعة من الأفكار المهمة والممارسات العامة بطريقة ناقدة: ساخرة أحياناً، جادة أحياناً، بليغة في كل الأحيان.

تحت الإنجاز:

ـ دور الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية.

ـ المرأة في شعر نزار قباني وفق مقياسٍ إسلامي.

ـ فاسألوا أهلَ الذِّكر.

ـ فتاوى رمضانية.

ـ أحلى الكلام.

صَدَرَ للدكتورة لينة الحمصي

تاريخ الفتوى في الإسلام

كتاب يتحث عن الفتوى وأحكامها الشرعية، والفرق بين المفتي والفقيه والمجتهد، ومن يجوز له الإفتاء ومن يحرم عليه، وما هي آلات الفتوى ومستلزماتها الأساسية.

كما يتحدث عن تاريخ الفتوى في الإسلام منذ العهد النبوي وحتى العهد العثماني.

منشورات دار الرشيد دمشق ـ سوريا.

المفتون العامُّون في سوريا
(ونماذج من فتاواهم في الأمور المستجدَّة)

كتاب يستعرض سيرة المفتين العامين الذين تولوا منصب الإفتاء العام في سورية منذ انتهاء العهد العثماني وحتى عام (١٩٩٥م)، وهم الشيخ محمد عطا الله الكسم، والشيخ محمد

شكري الأسطواني، والشيخ أبو اليسر عابدين، والشيخ عبد الرزاق الحمصي، والشيخ أحمد كفتارو.

ويناقش الكتاب بعض الفتاوى المستجدة التي أصدرها هؤلاء المفتون، ومنها: فتوى في التأمين، وفتوى في التلقيح الاصطناعي وأطفال الأنابيب، وفتوى في أخذ الربا من المصارف الأجنبية، وفتوى في جواز تشريح جثث الموتى والانتفاع بأعضائهم.

منشورات دار العصماء دمشق ـ سوريا.

مسيرة النور للمسلمين والمسيحيين على مرِّ العصور

كتابٌ يتحدث عن التعامل مع المسيحيين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم في عهد الصحابة وإبَّان الفتوحات الإسلامية، كما يتحدث عن حقوق أهل الذمة وواجباتهم والقواسم المشتركة بين المسيحية والإسلام، ويستعرض في خاتمته بعض مشاهير المسيحيين الذين بحثوا عن الحقيقة فوجدوها في الإسلام.

منشورات دار الرشيد دمشق ـ سوريا

المسيحية والإسلام: دينٌ واحدٌ وشرائع شتَّى

كتاب أكاديمي جامعي يغوص في عالم مقارنة الأديان،

يتحدث عن المسيح والمسيحية كما ذكرا في القرآن الكريم، وعن العقيدة المسيحية الحالية، ومقارنتها بالمسيحية العيسوية الصلية، ويورد شهادات لمسيحيين كبار ينكرون ألوهية المسيح عليه السلام، ويبين التحريف الذي لحق بالمسيحية على يد بولس الرسول ومن سار بسيره من المسيحيين.

ماذا تعني عقيدة التثليث والتوحيد؟ وما معنى عقيدة التجسد والفداء؟ وما هي المجامع المسكونية؟ وما هي مصادر العقيدة المسيحية؟

كل هذا نقرؤه في هذا الكتاب عن المسيحية وتحريفها.

الفوائد المصرفية وشهادات الاستثمار ورأيُ الشرع فيها

كتاب يتحدث عن البنوك الربوية في البلدان الإسلامية، ويستعرض آراء العلماء المختلفة وقرارات المجامع الفقهية في الفوائد المصرفية الربوية وشهادات الاستثمار، ويركز على الشبهات التي استند إليها مبيحو الفوائد المصرفية وشهادات الاستثمار، ثم يسلط الضوء على تفنيد العلماء لهذه الشبهات بإسهاب ووضوح.

كما يستعرض آراء العلماء في فوائد المصارف الأجنبية، وآراءهم في الاقتراض بالفائدة، ويبين الفرق بين من ألجأته

الحاجة إلى الاقتراض بالفائدة، وبين من يريد توسيع أملاكه وأرباحه عن طريق الاقتراض الربوي.

منشورات مؤسسة الإيمان بيروت ـ لبنان.

همسات (الجزءان الأول والثاني)

كتاب يحتوي على الهمسات التي قدمتها الدكتورة لينة الحمصي على شاشة الرسالة الفضائية في برنامجٍ اجتذب المشاهدين من كافة الأعمار والميول.

مواضيع هذه الهمسات تتراوح ما بين الاجتماعية والوعظية والعلمية، تناقش الكثير مما يقع بين الناس كل يوم، وتحلله تحليلاً مبسطاً، يكتشف العيوب ويوضح الأخطاء ويطرح الحلول.

منشورات دار الرشيد دمشق ـ سوريا.

فن التواصل الزوجي

وهو الجزء الثالث من همسات، ويحتوي على الهمسات التي همست بها الدكتورة لينة الحمصي على شاشة الرسالة الفضائية، في برنامج يومي اجتذب المشاهدين من كافة الأعمار والميول.

مواضيع هذا الجزء تتناول القضايا الزوجية الشائكة والشائقة بأسلوب قصصي جذاب وبسيط، يسلط الضوء على المشاكل الزوجية الشائعة، ثم يعالجها بسلاسة وعذوبة، من خلال الحديث عن كيفية التواصل الزوجي واعتباره فناً يفوق فن الموسيقا في عذوبته وفن الطبخ في حلاوته وفن الرياضة في مرونته.

منشورات دار الرشيد دمشق ـ سوريا.

باقات رمضانية

كتاب يحتوي على نصوص البرنامج التلفزيوني الذي قدمته الدكتورة لينة الحمصي على شاشة الرسالة الفضائية، ويحتوي على مواضيع وعظية إيمانية تختص بشهر رمضان المبارك، طرحت بأسلوب لطيف، يتحدث عن الصائمين الذين لم يفهموا من رمضان سوى أنه شهر الطبخ والنفخ والبيع والشراء والسهر في الخيام الرمضانية مع الأركيلة والشيش بيش وورق اللعب، شهرِ التباري بين البرامج والمسلسلات التلفزيونية المسلية التي تكتظ بها القنوات الفضائية احتفالاً بهذا الشهر الكريم.

هذا الكتاب يبين للناس معنى اغتنام رمضان، وعلى من

تنزل النفحات فيه، ومن هم عتقاء الله فيه شهر، وماذا يجب أن يفعل الصائمون بعد رمضان!!

منشورات دار غار حراء دمشق ـ سوريا.

صحابيات

كتاب تحوَّل من عملٍ تلفزيونيٍ بثت حلقاته الثلاثون على قناة الرسالة الفضائية، إلى كلماتٍ مكتوبةٍ لا تذهب مع الأثير.

وهو يتحدث عن نساءٍ عظيماتٍ في تاريخنا الإسلامي المجيد، ويسرد سيرة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته وبعضِ الصحابيات الجليلات اللوتي كان لهنّ دور كبير في خدمة المجتمع على جميع الأصعدة وفي جميع المجالات، ثم يستلهم من خلال ذلك كيفية صناعة النساء العظيمات في زماننا الحاضر وفي مستقبلنا القريب.

منشورات دار غار حراء ـ دمشق ـ سوريا.

يحكى أنَّ...

كتاب قصصي شاهد الملايين قصصه على قناة الرسالة الفضائية من خلال برنامجٍ تلفزيوني مؤلف من ثلاثين حلقة، وهو يهدف إلى غرس القيم والفضائل ومكارم الأخلاق، من

خلال القصص التاريخية المستقاة من حياة أناسٍ تركوا بصماتٍ واضحةً في تاريخنا المجيد.

منشورات دار طيور الجنة ـ دمشق ـ سوريا.

الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز

كتاب للناشئة، يستعرض قصصاً رائعة من حياة الخليفة عمر بن عبد العزيز بأسلوب مبسط وجذاب، يستمتع بها ويستفيد منها الكبار والصغار،

هذه القصص تروي شيئاً من عدل وورع وتقوى وصلاح ورأفة ورحمة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، الذي أجمع المؤرخون على اعتباره خامس الخلفاء الراشدين.

منشورات دار الرشيد دمشق ـ سوريا

ابتلعته أمريكا

كتابٌ قصصي للناشئة، يدخل إلى صميم المجتمع، فيعكس واقعاً مجسداً من الحياة، ويعالج الخلل برفق، ويبرز الجمال ببراعة.

شخوص القصص في هذا الكتاب أفراد من الواقع، يتحدثون عن همومهم وأفراحهم ومشاكلهم وأمنياتهم، ومن

خلالهم يتم التركيز على القيم والأخلاق والصلاح، وهو كتاب يفيد الأب والأم والأبناء والمعلم والتلاميذ، وتحتاجه كل أسرة ومدرسة.

منشورات دار الرشيد دمشق ـ سوريا.

يوميات فهيم وسرحان

قصص للصغار في سن العاشرة فما فوق، تتحدث عن شخصيتين متناقضتين: فهيم وسرحان، في قالب درامي فكاهي ممتع ومحبب إلى قلوب الأطفال، ويتم من خلال التركيز على المفارقة بين هاتين الشخصيتين زرع المبادئ السامية والقيم الأخلاقية.

تحت الطبع

ـ فقه المرأة.

ـ حكايا الناس.

الإهداء العام ٥
الإهداء الخاص ٧
شِعارُ الكتاب ٩
تقديم بقلم الشيخ أحمد كفتارو «رحمه الله تعالى» ١١
المقدمة ١٥
بين يَدَي الكتاب ٢١
كلامٌ مختَصَرٌ جداً، مُفيدٌ جداً ٢٠١
ما قَبلَ الخاتمة ٢٠٧
ولدي الحبيب ٢٠٧
ولدي الغالي ٢١١
الخاتمة ٢١٣
صَدَر للمؤلِّف ٢١٧
صَدَرَ للدكتورة لينة الحمصي ٢٢١
الفهرس ٢٢٩